الجزء الثالث

النـــبوءة

الفصل التاسع

الطريق للأمام
مسار هيمنة الجمهوريين

ليس من الغريب ألا يجد ويليام ماكينلى مكانًا فى مجمع آلهة الجمهوريين بجوار تيودور روزڤلت ورونالد ريجان. فهو رجل ممل لا يذكر إلا باغتياله. فى أثناء رئاسته كان يعتبر أداة فى يد ماركوس ألونزو هانا الذى كان أحد أقطاب صناع الحديد والصلب فى أوهايو وتحول إلى قطب سياسى. وخلفه فى الرئاسة شخصية أكثر كارزمية هو تيودور روزڤلت.

والملون يصنعون التاريخ كالمتوهجين تمامًا؛ وتبقى حقيقة أن ماكينلى أطلق ثورة سياسية. فبدءًا من انتخابات ١٨٩٦م، فاز الحزب بسبع من انتخابات الرئاسة التسع التالية، ولم تنته سيطرته إلا «بالكساد العظيم». وباستثناء ودرو ويلسون الذى لم يفز إلا نتيجة انقسام فى الحزب الجمهورى، ظل الرؤساء الجمهوريون مسيطرين حتى جاء روزڤلت آخر فى سنة ١٩٣٢م.

كان ماكينلى يرى أن مستقبل الحزب الجمهورى يكمن فى الالتحام مع النظام الصناعى الجديد. وكان الحزب بحاجة لنسيان الحرب الأهلية ـ التى كانت لا تزال هاجس الحرس القديم ـ والتركيز على التواصل مع القوى التى كانت تعيد تشكيل أمريكا. فعمق صلات الحزب بالبارونات اللصوص. كما تواصل مع الطبقة العاملة الجديدة لا سيما ملايين المهاجرين الذين كانوا يتدفقون على البلاد. وكان ماكينلى يدرك أن حزبًا يقوم على الأعمال يمكن أن يزدهر فى مجتمع ديمقراطى، وأن ثروات الأعمال الكبرى قد تعنى أيضًا حياة أفضل للناس العاديين.

يقال إن انتخابات ١٨٩٦م التى جاءت بماكينلى إلى السلطة كانت أول حملة انتخابية على الطريقة الحديثة. إذ قام هانا بحشد مؤسسة الجمهوريين كلها وراء ماكينلى وجمع ٣,٥ ملايين دولار، وهو مبلغ لم يكن أحد سمع به من قبل. وأغرق الحزب الجمهورى مدن البلاد الصاعدة بملايين من النشرات الانتخابية باثنتى عشرة لغة. وكان هذا كثير بالنسبة لتيودور روزفلت الذى شكا من أن هانا كان يعلن عن ماكينلى كأنه دواء جديد، إلا أن كل هذا أوجد جواً يوحى بحتمية انتصار الحزب الجمهورى. وكانت انتخابات ١٨٩٦م أول مواجهة حاسمة بين النزعة المحافظة والنزعة الراديكالية منذ الحرب الأهلية. وربط ويليام جننجز براين بين الديمقراطيين ومبادئ حزب الشعب من الفلاحين (قال براين فى مؤتمر محورى للديمقراطيين: «لن تفرضوا تاج الشوك هذا على جبين العمال. لن تصلبوا الإنسانية على صليب من ذهب»). وقسمت الانتخابات البلاد إلى ثقافات. فسيطر الديمقراطيون على تحالف الولايات القديم ومعظم الغرب الأقصى، بينما سيطر ماكينلى على الساحل الشرقى والغرب الأوسط وحقق فوزاً ساحقًا بـ ٧,١ ملايين فى مقابل ٦,٥ مليون صوت لمنافسه الديمقراطى. وهبطت مكانة حزب براين الديمقراطى ليصبح صوت الفئات الزراعية القديمة فى مواجهة العصر الصناعى الجديد. وربط ماكينلى الجمهوريين بالنخبة الصناعية الناشئة وبالتالى بدأ أطول فترة من هيمنة الجمهوريين فى تاريخ أمريكا.

احتل الجمهوريون البيت الأبيض لمدة أربع وعشرين سنة من السنوات الست والثلاثين الماضية. وهم الآن يسيطرون على الكونجرس(*) ويصر كل من جورج بوش وكارل روف على إعادة صوغ السياسة الأمريكية لتأسيس فترة أخرى من هيمنة الجمهوريين. والحقيقة أن ماكينلى أشبه بحصان هواية لدى روف. ففى كلامه عن الرئيس الخامس والعشرين [ماكينلى] فى انتخابات ٢٠٠٠م، شبه مستشار بوش الانتخابات بحملة ١٨٩٦م، بل إنه استعار فكرة هانا عن «حملة شرفة الدار»؛ حيث اقتاد كبار رجال الحزب الجمهورى من كافة أنحاء البلاد إلى أوستون ليقبّلوا خاتم الحاكم كما شدوا الرحال إلى أوهايو قبل قرن مضى.[1] صحيح أن انتخابات ٢٠٠٠م لم تكن فوزاً حاسمًا كانتخابات ١٨٩٦م، لكن روف تشبث بهذه المهمة وحاول شيئًا فشيئًا توسيع التحالف الجمهورى كما فعل هانا من قبل. وكل ما خاضه روف ـ بدءاً من

(*) فقدوا سيطرتهم فى الانتخابات الأخيرة فى نهاية عام ٢٠٠٦م.

زيادة تعريفة الصلب(*) إلى الحد من أبحاث الخلايا الجذعية وقتاله لاستئصال ضرائب الأرباح ـ كان جزءًا من هذا المشروع الكبير.

كانت انتخابات ٢٠٠٤م إعلانًا بشرعية تكتيكات روف. ولكن هل هناك مادة لإعادة تنظيم الصفوف؟ سنتناول في هذا الفصل نقاط القوة الكامنة في الحزب الجمهوري وعند الديمقراطيين. وفي الفصل التالي سنتطرق إلى قدرة الجمهوريين على إقالة أنفسهم من عثرتهم. ثم سنتناول المحاربين الذين يدفعون بحركة المحافظين قدمًا «خلف خطوط العدو»، أي الجمهوريين الذين يعملون في عمق أراضي الديمقراطيين. وفي الفصل الأخير من الكتاب، سنعود إلى الكفتين الأكبر وأولاهما رجحان حركة المحافظين بصرف النظر عن نجاح الجمهوريين الانتخابي، والأخرى بقاء أمريكا دولة أكثر محافظة من غيرها حتى في حالة فوز الديمقراطيين.

الرؤية قصيرة المدى

إن أي حكم على نقاط القوى لدى الجمهوريين والديمقراطيين لا بد أن يأخذ في الحسبان مزيجًا من المناورة قصيرة المدى (إيجابيات أية رئاسة وسلبياتها) والمواقف بعيدة المدى (الاتجاهات العريضة لكل من الحزبين). ويبدو أن الجمهوريين لهم ميزة ولو ضئيلة في كلتا الحالتين.

للوهلة الأولى، يبدو أن للجمهوريين ميزة واضحة في التاريخ الانتخابي «قصير المدى» الحديث. ففي القرن الحالي، فازوا حتى الآن بانتخابات الرئاسة مرتين وزادوا أغلبيتهم تدريجيًا في البرلمان بفرعيه، وكانت لهم غلبة واضحة في تولي مناصب حكام الولايات ومجالسها التشريعية. وفي أواخر التسعينيات من ذا الذي كان يتصور مجيء رئيس جمهوري وأغلبية ٥٥ إلى ٤٥ في مجلس الشيوخ؟ أو تولي حاكم جمهوري في كاليفورنيا؟ أو أن يتساوى الجمهوريون مع الديمقراطيين في التسجيل الحزبي؟

هذه الانتصارات تفسر نوبة الفوز الجمهوري في أعقاب انتخابات ٢٠٠٤م. ولكنها تأتي أيضًا ومعها تحذيرات. إن كنتَ ترتاب في مرورنا بحالة إعادة تنظيم صفوف تشبه

(*) كان ماكينلي مشهورًا بدفاعه المستميت عن فرض الحمائية للصناعة الأمريكية بفرض تعريفة عالية على الاستيراد، وكان أحد شعاراته الرئيسية في حملته الانتخابية الحماية بالتعريفة، وتقدم بقانون ماكينلي للتعريفة، وأيد تعريفة دنجلي المرتفعة عام ١٨٩٧م.

تلك التى حدثت بعد ١٨٩٦م، فستجد بعض العزاء فى مرثى انتخابات الرئاسة الأخيرتين. فكان فوز چورچ بوش الابن فى سنة ٢٠٠٤م بهامش ضيق بمعايير حالات إعادة انتخاب الرئيس السابقة؛ وكان سيخسر لو كان سبعون ألف ناخب فى أوهايو صوتوا بصورة مختلفة. وكانت انتخابات ٢٠٠٠م أضيق. ومهما كان معنى إعادة تنظيم الصفوف، فهى لا تعنى الفوز بالبيت الأبيض بأقلية من الأصوات الشعبية وبكلمة تخرج من المحكمة الدستورية العليا. ولو غير عدة مئات من الناخبين فى فلوريدا أصواتهم ـ أو لو ذهبت أصواتهم، حيث أرادوا ـ كما يجادل البعض ـ لحظى الرئيس جور برابع فترة رئاسة ديمقراطية على التوالى فى البيت الأبيض [المقصود لأصبح جور رئيسًا، ولحاز بفترة ثانية].

ولكن انتظر لحظة. فهناك طريقة أخرى لتناول هاتين الدورتين الانتخابيتين، وهى أن بوش فاز بهما حين لم تكن الأفضلية له. ففى سنة ٢٠٠٠م، ما كان بوش ليقترب من هزم نائب رئيس جالس فى وقت كانت البلاد تنعم فيه بواحدة من أطول فترات السلام والرخاء فى تاريخها. كان بوش غرًا سياسيًا قضى عقدين من السنين شابًا تافهًا من أسرة محترمة. وفى الاجتماع السنوى لـ« الاتحاد الأمريكى للعلوم السياسية» الذى عقد قبل الانتخابات بثلاثة أشهر، عرض ستة من الأساتذة أعقد نماذج إحصائية من نوعها ليعلنوا أن جور كان سيحقق حلم حياته فى تولى الرئاسة بنسبة تتراوح بين ٥٢,٩ و٦٠٪ من الأصوات. كل الصيغ القياسية من مؤشر البؤس إلى معدلات تأييد الرئيس الجالس فى المنصب إلى تاريخ الأحزاب التى تولت المنصب منذ الحرب العالمية الثانية فى انتخابات الرئاسة؛ كل المؤشرات كانت تدل على فوز كاسح لجور. وأبدى چيمس كامپل أستاذ بجامعة ولاية نيويورك فى بفالو أسفه على ضياع صوته الانتخابى لأن الرجل الذى يؤيده لم يكن سيحصل إلا على ٤٧,٢٪ من الأصوات.

ومن نافلة القول أن الخبراء ادعوا بعد ظهور النتائج إنه لم يكن هناك عيب فى نماذجهم الأساسية، فالنتائج لم تعكس أى اتجاه عميق بل عكست سلسلة من السلبيات، فكان لمونيكا لوينسكى تأثير أكبر مما كان ينبغى لها؛ وكان جور مرشح فقير بصورة فريدة ـ ربما ـ ولكن إذا تأملنا النتائج بإمعان، نجد أنها تحتوى على بعض التبر لصالح الجمهوريين؛ فمع أن بوش حصل على ٤٥٠ ألف صوت أقل من جور على

المستوى القومى، فإنه تفوق على جور بعدد ٢٣٧ من ٤٣٥ من دوائر مجلس النواب وبثلاثين من الولايات الخمسين، بما فى ذلك ٢٢ من مقاعد مجلس الشيوخ الأربعة والثلاثين التى كانت على المحك فى سنة ٢٠٠٤م.[٢]

وماذا عن ٢٠٠٤م؟ كان بوش يحظى بسلطة التواجد فى المنصب هذه المرة بالطبع. لكن أى متول لمنصب يمكن أن يخسره لو كان الاقتصاد يعانى أو كانت هناك حرب تسير بصورة سيئة ويكون الرئيس متهمًا بكليهما. دخل بوش انتخابات ٢٠٠٤م بمسئوليته عن فقدان مليونى فرصة عمل فى الداخل وحياة ألف أمريكى فى العراق. وبلغ عجز الموازنة عنان السماء بسبب الزيادة الحمقاء فى الإنفاق، وكان هناك الإحراج البالغ بسبب أحداث أبو غريب وتضرر سمعة أمريكا (سواءً بالحق أو بالباطل) فى أرجاء العالم، إضافة إلى خسارته مناظرتين على الأقل من مناظراته الرئاسية الثلاث. كل هذا لم يكن ليشكل مناخًا يساعد على الفوز بانتخابات، ناهيك عن فرض إعادة تنظيم صفوف.

كما تدل الانتخابات البرلمانية وانتخابات الولايات على تفوق بسيط لأمة اليمين؛ فمن الواضح أن اليد العليا لها حتى لو كانت هناك بعض الظروف تساعدها. فمن غير المألوف، مثلاً أن يفوز حزب الرئيس بمقاعد فى منتصف المسافة إلى انتخابات رئاسية؛ وآخر مرة حدث فيها ذلك فى مجلس النواب كان فى سنة ١٩٣٤م فى عهد روزفلت. لكن الجمهوريين فى سنة ٢٠٠٢م استعادوا السيطرة على مجلس الشيوخ وحصلوا على مقاعد بمجلس النواب وصدوا تقدم الديمقراطيين المتوقع إلى مناصب حكام الولايات. وانقسمت الأصوات الشعبية فى مجلس النواب إلى ٥١ ٪ للجمهوريين و٤٩ ٪ للديمقراطيين، وهو تغيير واضح طرأ على نمط المناصفة(*). كما فاز الجمهوريون بمائة مقعد وخمسة فى مجالس نواب الولايات وستة وثلاثين مقعدًا فى مجالس شيوخ الولايات، وبذلك أصبحت لهم أول أغلبية فى المجالس التشريعية للولايات منذ ١٩٥٢م. وفى ٢٠٠٣م فازوا بمناصب حكام الولايات ـ فى كل من كاليفورنيا وكنتاكى ومسيسيبى (فى حين خسروا لويزيانا) ـ بمجموع ٢٨. بل كان هناك ما ينم عن انتهاء الميزة التقليدية التى كانت للديمقراطيين فى التسجيل الحزبى

(*) أن يسيطر على الكونجرس الحزب الذى لم يفز بالرئاسة.

والتى تعود إلى «الصفقة الجديدة»؛ ففى ٢٠٠٣م ولثانى مرة فى خلال خمس وسبعين سنة زادت نسبة الجمهوريين المسجلين قليلاً عن نسبة الديمقراطيين.[٣]

ومرة أخرى يمكن إرجاع هذه الانتصارات لظروف خاصة. فحتى الجمهوريين يقرون مثلاً بأن انتخاب أرنولد شوارزينجر كان شيئًا غريبًا على كاليفورنيا؛ وفى انتخابات حكام الولايات فى كل من كنتاكى ومسيسيبى فى نوفمبر ٢٠٠٣م، برزت بعض القضايا المحلية إلى الصدارة. أما بالنسبة للتغير الواضح الذى طرأ فى سنة ٢٠٠٢م، فيقول الديمقراطيون إن الانتخابات جرت فى وقت كان تأييد جورج بوش الابن لا يزال مرتفعًا «بصورة شاذة» فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر. إضافة إلى أن الهامش كان لا يزال ضيقًا؛ فبوجود ٩٤ ألف صوت متأرجح من مجموع ٧,٧٥ مليون صوت كان الديمقراطيون سيفوزون بأغلبية فى مجلسى النواب والشيوخ.[٤] ويمكن أن نصادف تحذيرات مماثلة من مكاسب الجمهوريين البرلمانية فى ٢٠٠٤م؛ فمقاعد مجلس النواب الإضافية الخمسة مثلاً جاءت من إعادة تقسيم الدوائر فى تكساس.

وإذا أمعنا النظر فى أية انتخابات يتضح أنها حالة خاصة. وعند نقطة ما ينبغى على أى ديمقراطى عاقل أن يكف عن اختلاق الأعذار للخسارة وأن يبدأ فى العمل للمرحلة التالية. وكما يشير داڤيد برودر، هناك ما ينذر بالسوء بالنسبة للديمقراطيين بعد الرقم القياسى الذى حققه بوش فى تكساس.[٥] فلم يكن يتوقع لبوش أن يفوز بمنصب حاكم الولاية فى ١٩٩٤م، لكن كل الظروف منذ ذلك الحين سارت لصالح الجمهوريين هناك. بالطبع بوش لن يتمكن قط من تحويل أمريكا إلى تكساس، لكن هناك فرصة حقيقية لأن يتم اعتبار فوزه التصادفى فى سنة ٢٠٠٠م بداية لفترة طويلة من سيطرة الجمهوريين.

خلال زجاج داكن

أول ميزات الجمهوريين التفوق التنظيمى. فالبيت الأبيض فى عهد بوش يعد أقوى آلة جمع تبرعات فى تاريخ أمريكا السياسى. ففى الدورة الانتخابية ٢٠٠٠ـ٢٠٠٢م جمع الحزب الجمهورى تبرعات مقننة اتحاديًا قدرها ٤٤١ مليون دولار فى مقابل ٢١٧ مليونًا للديمقراطيين.[٦] وفى حملة ٢٠٠٤م، جمع بوش ٣٦٠ مليون دولار أى

حوالى ضعف ما جمع فى حملة ٢٠٠٠م، وأكثر مما جمع چون كيرى بحوالى ٤٠ مليونًا. وهذا يبين ميزة الرئيس على منافسه الديمقراطى، فما أن نضيف الأموال التى قدمها الديمقراطيون ممن يبغضون بوش إلى ٥٢٧ هيئة وتنظيمًا خاصًا كان مستقلاً اسميًا عن حملة كيرى ولكنها فى حالات عدة كانت آلات هجوم حزبية لصالحها، فإن المنافسة تصبح متعادلة. لكن الزخم الجمهورى كان أكثر تركيزًا.

إضافة إلى ذلك فالميل السياسى يذهب إلى ما هو أعمق من جمع التبرعات. فكان الديمقراطيون فى عهد كلينتون يطمئنون أنفسهم بأن معظم النشطاء سياسيًا فى صفهم. والبيت الأبيض فى عهد بوش الحالى بعيد كل البعد عن «شغل الهواة» الذى كان فى عهد أبيه. إذ وثق اتصالاته بأناس من شبكات تليفزيونية ذوى خبرة كبيرة فى الإضاءة وزوايا التصوير وما إلى ذلك.[٧] وهناك تدقيق بالغ فى التفاصيل. ففى أثناء إحدى خطب بوش فى إنديانابوليس لترويج مشروعه لخفض الضرائب، طلب مساعدو البيت الأبيض من الناس الذين وقفوا وراءه أن يخلعوا أربطة عنقهم حتى يبدو شكلهم كالناس العاديين ممن يفترض أن يستفيدوا من خفض الضرائب. وفى أثناء خطبة أخرى (فى جبل راشمور) وضع البيت الأبيض منصة أطقم التليفزيون على جنب واحد بحيث يضطر المصورون لتصوير الرئيس بجانب وجهه بحيث يبدو شكله كأنه أحد الرؤساء المحفورة وجوههم فى الصخر. إلا أن رجال روف لا يفهمون مقاصده؛ فخطاب بوش على متن حاملة الطائرات يو إس إس إبراهام لينكولن فى الأول من مايو ٢٠٠٣م، والتى أعلن فيها نجاح المهمة العسكرية فى حرب العراق، ربما تم تصويرها تصويرًا رائعًا (بهبوطه بالزى العسكرى وتزامن إلقائه لخطبته مع ساعة الغروب لتضفى بريقًا ذهبيًا على القائد المنتصر) ولكن ثبت أن عبارة «المهمة أنجزت بنجاح» كانت سابقة لأوانها. ومع ذلك فيبدو أن هذه كانت صورة خاطفة، لأن رجال روف نادرًا ما أخطأوا طوال حملة ٢٠٠٤م.

كما فازوا بأهم معركة وهى المعركة البرية. فالديمقراطيون يتميزون عادةً فى استخراج الأصوات ليبرروا إضافة نقطة أو نقطتين لمجموع الأصوات حسب قول لارى ساباتو أستاذ العلوم السياسية بجامعة ڤيرچينيا. والحزب مركز فى المدن؛ حيث يسهل حشد الناس. وهو متصل بعدد وافر من الهيئات والتنظيمات ذات الكثافة والزخم

كنقابات المعلمين وكنائس الزنوج وجماعات ضغط ليبرالية مختلفة. وكل هذا معناه سهولة النفاذ إلى الطبقات الكادحة.

كانت الأمور تبدو حتى سنة ٢٠٠٠م كأن الديمقراطيين مقدر عليهم تعميق هذه الميزة. وزاد أعضاء النقابات الذين يمثلون ١٤ ٪ من القوة العاملة بالبلاد نصيبهم من مجموع الأصوات من ٢٣ ٪ فى سنة ١٩٩٦ إلى ٢٦ ٪ فى سنة ٢٠٠٠م. وفى الوقت نفسه فإن الحل المفضل عند الجمهوريين لمشكلة دفع الناس للتوجه إلى صناديق الاقتراع - وهو صب الأموال فى الإعلانات التليفزيونية - عانى بسبب قانون العوائد المتقلصة وتناقص تأثير الإعلان بسبب الريموت كنترول وتزايد قنوات التليفزيون وتنامى العداء تجاه الإعلان السلبى. وكانت انتخابات ٢٠٠٠م نموذجًا لهذا الوضع. إذ حظى بوش بأفضلية قدرها خمس نقاط فى الأسبوع الذى سبق الانتخابات إلا أن الديمقراطيين محوا الفارق بحرب خاطفة بالغة القوة من النشاط فى الأيام الثلاثة السابقة للانتخابات. ويدعى الجمهوريون أن التصويت الفعلى لصالح بوش فى سبع وثلاثين من مجموع إحدى وأربعين ولاية تتوفر بها بيانات موثوق بها، أحجمت عن تأييده فى آخر استطلاع أجرى قبل الانتخابات.

بعد الانتخابات مباشرةً، أنشأت «اللجنة القومية الجمهورية» «قوة عمل لمدة ٧٢ ساعة» للتعلم من نجاح الديمقراطيين فى هذه الأيام الثلاثة الحاسمة فى سنة ٢٠٠٠م وشرعوا فى تسويق تجريبى لأفكارها. فوجدت «اللجنة القومية الجمهورية» زيادة قدرها ٣ ٪ فى صافى عدد الأصوات عندما «تدفق» عمال الضواحى على الجمهوريين فى استطلاعات الرأى قبل يوم الانتخابات وزيادة قدرها ٥ ٪ عندما قام المتطوعون بالرد على الهواتف بدلاً من العاملين المستأجرين. إضافة إلى ذلك أنشأ توم ديلاى، سوط أغلبية مجلس النواب، لنفسه «حملة إستراتيجية لتنظيم الناس وتعبئتهم». وفى انتخابات ٢٠٠٢م أوفدت كل من «اللجنة القومية الجمهورية» و«حملة إستراتيجية لتنظيم الناس وتعبئتهم» نشطاء مدربين إلى ما لا يقل عن ثلاثين من سباقات انتخابات مجلس النواب ومجلس الشيوخ فى أنحاء البلاد؛ وقاموا بدورهم بتعبئة متطوعين لتحديد الناخبين الميالين للجمهوريين وجذبهم للتصويت فى يوم الانتخابات. وكانت النتيجة مذهلة. ففى چورچيا جمع رالف ريد جيشًا من ثلاثة آلاف متطوع استهدفوا ستمائة دائرة انتخابية فى الأسابيع الستة الأخيرة (وأرسل الجمهوريون أيضًا ٢,٥

ملايين ورقة).[٨] وفى كولورادو، ساعدت حملة الساعات الست والتسعين الأخيرة على إنقاذ مقعد «وين ألارد» فى مجلس الشيوخ وعلى الفوز فى منافسة شرسة على مقعد بمجلس النواب.

وفى ٢٠٠٤م، فاز الجمهوريون بالحرب التنظيمية بصورة لافتة. ولم يكن هذا لأن الديمقراطيين أساءوا التنظيم؛ فالأصوات الشعبية لصالح چون كيرى كانت أعلى من أصوات آل جور بنسبة ١٢ ٪. بل لأن الجمهوريين أحسنوا فى الأداء بشكل فائق؛ حيث زادت الأصوات لصالح چورچ بوش بنسبة ٢٠ ٪ دفعة واحدة. كان هذا لأن الجمهوريين جربوا كل خدعة ممكنة فى الأرض لحشد المؤيدين، من إيفاد من يقيمون احتفالات تطبيع وسط المهاجرين، إلى وضع خطط تسمح لرجال الأعمال المسافرين بالإدلاء بأصواتهم.[٩] ولكن كما حدث فى سنة ٢٠٠٠م، كان فى بؤرة الحملة جيش قوامه ١,٤ مليون متطوع جمهورى قام بحشده أحد أتباع روف، وهو شاب يدعى كن ميلمان. وبينما عهد الديمقراطيون بعملهم لأناس من الخارج ولعاملين مستأجرين فإن «رجل المطر» (وهو اللقب الذى أطلق على ميلمان لقدرته الفائقة على عمل إحصاءات انتخابية) راهن على الحماس والنظام. وعلى خلاف العاملين المستأجرين لدى الديمقراطيين، كان المتطوعون الجمهوريون متأصلين فى اللجان المحلية، وعملوا كقوة عمل مضاعفة. ففى أوهايو، كانت حملة بوش وتشينى تضم مائة مستأجر فى مقابل ثمانين ألف متطوع. واستعان ميلمان بكافة القياسات التجارية لحشد هذا الجيش ـ بيانات تسويق للعثور على مؤيدين محتملين ومقاييس أداء لضمان أداء العمل على أكمل وجه وحوافز مادية لتشجيعهم (مثلاً تمت دعوة المتطوعين الناجحين إلى اجتماعات بوش الحاشدة).

سيبدأ الديمقراطيون الآن فى تبنى هذه الأساليب بالطبع ولكن ليس التنظيم هو كل شىء. وسيتضح السببان الأعمق لميل الديمقراطيين للدفاع فى فصولنا التاريخية: الفكر والقاعدة الجماهيرية. بعض الأفكار المنبثقة عن «الضفة اليمنى» قد تكون بعيدة التحقيق، إلا أن اليمين يتسم بحيوية فكرية أكبر من اليسار ـ على الأقل حين يتعلق الأمر باقتراح سياسات عملية. بل إن الأمر يزداد صعوبة بالنسبة للديمقراطيين أن يدعوا أنهم حزب تقدمى بينما تأتى الأفكار من الجانب الآخر.

ومشكلات الحزب الديمقراطى مع قاعدته الجماهيرية أصعب. فالحزب لا يزال يسعى للتكيف مع انهيار تحالف «الصفقة الجديدة» الذى بناه روزفلت ببراعة بين الطبقة العمالية البيضاء الشمالية (نسل المهاجرين الأوروبيين) وبيض الجنوب والأقليات العرقية والمثقفين. ولا يزال يمكن للديمقراطيين أن يدعوا الحق فى معظم المثقفين (أو على الأقل أساتذة الجامعات). ولهم شعبية بين الزنوج والعزباوات، وميزة مؤقتة بين اللاتين. لكن بيض الجنوب قفزوا من سفينة الديمقراطيين ويكافح الديمقراطيون يائسين للحفاظ على نسل الأوروبيين فى الولايات الصناعية.

ويسمح المقام هنا بإعادة تقديم صورة نمطية انتخابية. فكما هو الحال بالنسبة لذلك الناخب المتأرجح الخرافى، فإن «چو سيكسپاك» يصعب وصفه ولكنك ستعرفه إن رأيته. فهو رجل أبيض من الطبقة العاملة لم ينه دراسته الجامعية (إن بدأها أصلاً) وهو غالبًا متيم بالبيرة العلب والبسكويت الناشف المملح والمباريات التليفزيونية. وهو لم يعد يحمل بالضرورة بطاقات نقابية، وأحيانًا يعمل فى القطاع الخدمى لا الصناعى، ولكنه لايزال يلعب دورًا حيويًا فى الانتخابات فى الولايات الصناعية بالغرب الأوسط والشمال الشرقى. وفى الستينيات. كان چو ديمقراطيًا من أنصار «الصفقة الجديدة» يلتزم بالقضية بحكم عضويته النقابية وبحكم اقتناعه المطلق بأن الديمقراطيين حزب العمال. إلا أن ريتشارد نيكسون أولاً ثم رونالد ريجان من بعده، نجحا فى إقناع چو بأنه لا شىء يجمعه «بالنخبة الليبرالية» التى استولت على الحزب الديمقراطى. وأخذ جانب چورچ بوش الأب ضد مايكل دوكاكيس من «ساحة هارڤارد»، إلا أن بيل كلينتون وروس پيرو أغووا بعضًا من رفاق چو بالخروج من الحزب الجمهورى. وفى سنة ٢٠٠٠م صوت عدد كبير من البيض من نسل الأوروبيين لصالح چورچ بوش الابن ليسمحوا له باكتساح ولايات صناعية كأوهايو وغرب ڤيرچينيا. وأمضى الرئيس وقتًا طويلاً فى زيارة پنسلڤانيا التى فاز بها چور فى سنة ٢٠٠٠م.

كان أمام الديمقراطيين سبيلان لإعادة چو إلى بيته فى سنة ٢٠٠٤م، وكان أحدهما الاقتصاد. فباعتباره عادةً أول من يتم الاستغناء عنهم فى أى ركود اقتصادى، فإن چو يصوت بجيبه. وفى ٢٠٠٤م، لا بد أن يكون الركود الاقتصادى (وما ترتب عليه من فقد فى فرص العمل) دفع على الأقل بعض البيض من أصل أوروبى للعودة إلى حظيرة

الديمقراطيين. وأبلى بوش بلاء حسنًا حتى يحتفظ بغرب ڤيرچينيا مثلاً. إلا أن الصلة الأعمق ـ تلك الفكرة القديمة عن التضامن الطبقى ـ تبدو مستهلكة. وحين برز الجمهوريون مرة أخرى فى سنة ٢٠٠٤م، تمكنوا من إقناع چو بأن الطبقة فى أمريكا ليست مسألة مال، بل مسألة قيم. وكانوا يجدون قضايا غير اقتصادية يستحوزون بها على عقول الذكور البيض من نوعية چو، كالإجهاض (چو كاثوليكى فى الغالب) والجريمة (چو يؤيد تطبيق عقوبة الإعدام) وزواج الشواذ (لا يعاديهم ولكنه يرفض الفكرة) والأسلحة النارية. ولا يزالون يفعلون لأن الحزب الديمقراطى تقوده الطبقة المتوسطة العليا والليبراليون الجامعيون، أى تلك النوعية من الناس التى تستفز چو سيكسپاك.

ففى أغسطس ٢٠٠٣م، على سبيل المثال، هبط ستة من الواعدين الديمقراطيين التسعة على سائقى الشاحنات بمدينة سيدر رابيدز بولاية آيوا، وبدأوا يتظاهرون بالتواضع مؤكدين على تضامن الطبقة العمالية الذى لم يكن له وجود حتى يتأكد. فبلهجة أولاد البلد، خطب چون كيرى الذى تلقى تعليمه فى مدرسة داخلية سويسرية فى «إخوانه وأخواته» وهو يحاول جاهدًا أن ينسى هفوته قبل بضعة أيام فى فيلادلفيا حين طلب جبنًا سويسريًا مع اللحم المشوى. ووثب هوارد دين ابن أحد المضاربين فى وول ستريت إلى مكبر الصوت على أنغام أغنية سپرنجستين «مولود فى الولايات المتحدة». وبنظرة سريعة من أحد زملائنا إلى مرآب السيارات تبين أن أحد الملصقين الانتخابيين الوحيدين لحملة دين كان ملصقًا على سيارة ڤان صغيرة عليها لوحة أرقام تابعة لولاية مينسوتا، وفوقها لوح تزلج على الجليد ـ وهى ليست الرياضة التى يشجعها سائقو الشاحنات.[١٠] وكان مرشح الطبقة العليا الوحيد الذى تآلف معهم ريتشارد جيهارت.

ربما نشأ جيهارت فى أسرة عاملة، إلا أن انتخابات ٢٠٠٤م بينت تهالك الصلة بين الآلة الديمقراطية القديمة ونقابة العمال. ففى ١٩٨٨م، فاز باختيار المؤتمر الحزبى فى آيوا بتأييد كبير من النقابات. وفى هذه المرة، كان عليه أن يشاهد معظم النقابات الكبرى لا سيما نقابات القطاعين الخدمى والعام وهى تؤيد دين (خريج جامعة ييل الشاب الذى كان يتسكع على الجليد فى ڤايل بينما كان جيهارت يكافح حتى يصبح عضوًا بمجلس نواب الولاية فى سانت لويس). وتمكن جيهارت ابن السائق من الفوز بتأييد بعض النقابات العمالية، لكن هذا لم يحُل دون تراجعه إلى المرتبة الرابعة فى المؤتمر الحزبى فى آيوا فى يناير ٢٠٠٤م وقراره بالخروج من السباق.

قد تكون النقابات أدوات جيدة لجمع الأصوات، ولكنها لا تزال فى تراجع، لا سيما النقابات الصناعية التى قدم لها جيهارت خدمات مخلصة. ففى ١٩٦٠م، كان ٤٠ ٪ من القوة العاملة الأمريكية منتظمة فى نقابات؛ أما الآن فالنسبة لا تزيد عن ١٣,٥ ٪ (مقارنةً بمتوسط أوروبى قدره ٤٣ ٪). وانخفضت نسبة الذكور البيض من ٢٤٪ فى سنة ١٩٨٣ إلى ١٤,٨ ٪ فى سنة ٢٠٠١م.[١١] وبدلاً من أن تكون النقابات العمود الفقرى للصناعة الأمريكية أضحت من أدوات القطاع العام. والمعلمون حاليًا أهم من عمال صناعة السيارات ـ وچو سيكسپاك لم يشعر قط بأى تضامن مع المعلمين. وخاض والتر مونديل حملته الانتخابية على طريقة «الصفقة الجديدة» القديمة فى سنة ١٩٨٤م، وحظى بتأييد كل نقابة فى أمريكا؛ وحقق خسارة كاسحة.

لم يكن من بين العوامل التى كانت تنخر الصلة بين الطبقة العمالية الأمريكية و«الصفقة الجديدة» ما هو أشد من الوقت. ففى ٢٠٠٢م، لم يكن سوى ٨ ٪ من الناخبين فى سن يسمح بوجود دراية مباشرة بتجربة الكساد فى الثلاثينيات.[١٢] فالتجربة التى صاغت السياسة لعشرات السنين ودفعت المثقفين لمعانقة الحكومة وأقنعت الساسة بأن أولى مهامهم الحيلولة دون تكرار «الكساد الكبير» أصبحت الآن ذكرى منسية. فلم يعد هناك أى إدراك بأن الرخاء الحالى من ثمار جهد روزڤلت فى تلك الفترة الغابرة. وفى تينيسى، وهى ولاية أخرى خسرها جور فى سنة ٢٠٠٠م لم يعد الناس يتحدثون بمحبة عن «سلطة وادى تنسى» (التى ساعد أبو جور فى صوغها) كمحرك للتغيير الاجتماعى؛ بل يتحدثون عنها كمصدر للكهرباء بحاجة لتجديد خططها التجارية وتنظيف محطات الطاقة بها وخفض أسعارها.

ليس هدفنا هنا أن ندعى أن عمال أمريكا جمهوريون بطبيعتهم. بل أن نؤكد أنهم لم يعودوا ديمقراطيين تمامًا. ففى نوڤمبر ٢٠٠٤م، اتخذ بعض الذكور من العمال البيض جانب الديمقراطيين من باب الغضب على الاقتصاد أو العراق أو أيًا كان، لكن بوش فاز بالمزيد منهم. وفى ذلك، كما فى جل أنماط المناورات قصيرة المدى الأخرى، لا يزال الديمقراطيون فى موقف دفاعى فى الغالب.

طوال اليوم بالإسپانية

لا شك أن هذا يسعد الجمهوريين. إلا أن إعادة تنظيم صفوف من النوع الذى

يخطط له كارل روف يتطلب ما هو أكثر من مجرد إضعاف التحالف السياسى لغريمك. فهو يتطلب تيارات سكانية واجتماعية تتحرك فى اتجاهك. وفى ذلك وللوهلة الأولى يمتاز الديمقراطيون ويتفوقون.

هذه النوعة التفاؤلية تقوم على التوزيع السكانى. ففى كتاب «الأغلبية الديمقراطية الناشئة» (٢٠٠٢م) يقول جون جوديس، وروى تايكسيرا، بوجود ثلاث فئات تدفع أمريكا بصورة خاصة نحو مستقبل «وسطى متنام». الأولى المرأة، وهى فئة أيدت آل جور بنسبة ٣٤ إلى ٤٣ ٪ فى سنة ٢٠٠٠م، ولا سيما النساء المتعلمات العاملات اللائى يزداد عددهن باستمرار.[١٣] وسنتطرق إلى هذه الفئة تفصيلاً فى الفصل الثالث عشر. والفئتان الأخريان: المهنيون واللاتين، وكلتاهما تصوتان لصالح الديمقراطيين، ويبدو أن كلتيهما مرشحتان لأن تكونا شريحتين متناميتين من الناخبين. ويرى المؤلفان أنه كلما زاد اتجاه المجتمع الأمريكى نحو التعددية العرقية وما بعد الصناعة زاد الديمقراطيون ازدهارًا. وهذا قلب لفرضية ماكينلى: قد يفوز الجمهوريون بالانتخابات عرضيًا لكن التاريخ فى صف الديمقراطيين.

من أسباب أخذ هذا الرأى على مجمل الجد عدد الجمهوريين الأذكياء ممن يرون ذلك. فنجد بيل أوينز حاكم كولورادو منزعجًا من أن انهيار حزبه فى كاليفورنيا فى التسعينيات يمكن أن يتكرر فى العديد من بقاع الغرب الأمريكى؛ فالجمهوريون بحاجة لأن يبذلوا الجهد لاستمالة الأقليات ـ المهنيون والمرأة ـ ولمحو ما اشتهروا به من تعصب. والبيت الأبيض فى عهده الحالى يحرص بصورة غير معهودة على استمالة اللاتين لدرجة أن أضافوا نسخة إسپانية على موقعهم على شبكة الإنترنت. إلا أن رؤية المؤلفين جوديس وتايكسيرا («السكان متجهون فى مجملهم نحو أغلبية ديمقراطية») تبدو خطأ فى نظرنا لسببين. الأول أنها حاسمة قاطعة أكثر من اللازم فيما ذهبت إليه من أن المهنيين واللاتين يتغيرون بسرعة؛ والسبب الآخر أنها تحذف التيارات الاجتماعية الأخرى غير السكانية، لا سيما ما يتعلق منها بالقيم والتى تتحرك باتجاه الجمهوريين.

لنبدأ باللاتين. أى جمهورى يشعر باحمية إزاء مستقبل حزبه، عليه أن يسير على مهل ويتأمل أحد أشهر شوارع أمريكا. يمتد شارع سنست بوليڤار بشكل أفعوانى من

المحيط الهادى إلى تلال غرب لوس أنچيليس الغنية التى تعد أحد معاقل الليبرالية الأمريكية. يلى هذه التلال شريط سنست المبهرج؛ حيث تنم لوحات إعلانات الفتيات الشقراوات على أن الأمور لا تسير وفق هوى چون أشكروفت فى حربه الثقافية. إلا أن الدرس الأصعب يطالعنا على مسافة أخرى من الشارع. فمع تقدم سنست عبر هولى وود نمر بمساحة من الأرض لا يملكها أحد ـ أو لعلنا نقول يملكها الناس جميعًا ـ حيث نجد مطعمًا لاتينيًا يسمى «إل پويو لوكو» (الدجاجة الطائشة) وآخر صينيًا اسمه «هويز ووك» (قلاية هوى) وثالث اسمه «أوزبكستان» تجاور «بيرجر كنج». وشيئًا فشيئًا يزداد عدد اللافتات المكتوبة بالإسپانية. وتنوه القنوات التليفزيونية أنها تبث «الإسپانية طوال اليوم ـ todo el dia en espanol». ومع اقترابنا من ستاد «دودجر» نجد معظم المغاسل ومحلات تصفيف الشعر تحولت إلى مسمياتها الإسپانية («مغاسل ـ lavanderias» و «محلات تصفيف الشعر ـ peluquerias» ـ ولو أن بعض لافتات المحلات تمزج بين اللغتين من قبيل: «حلو ورخيص ـ Bonita y Cheap». وفى نهاية شارع سنست تنتظرنا مفاجأتان، الأولى حلول مدارس أطفال آسيويين محل نظيرتها الإسپانية، وإفساح اللافتات الإسپانية المجال لأخرى صينية. والمفاجأة الأخرى أن «سنست بوليڤار» يتحول بعد ذلك إلى شارع «سزار شاڤيز أڤينيو» تكريمًا لزعيم حركة عمال المزارع اللاتينى الراحل.

هذه الرحلة على طول شارع سنست عادية تمامًا. قد يقول بعض أهالى لوس أنچيليس إن شارع ويلشاير أو شارع أولمپيك مزيج عالمى أكبر من سنست. ففى شيكاغو يبدأ فولرتن أڤينيو بحديقة لينكولن البيضاء الغنية ولكنه سرعان ما يأخذك فى تمشية عالمية عبر مختلف بقاع شرق أوروپا وأمريكا اللاتينية. وفى كوينز بنيويورك، يمكنك أن تذهب فى رحلة متعددة الثقافات فى مترو الأنفاق رقم ٧ فوق شارع روزڤلت. وتباهى ليفيت تاون ـ نيويورك، الضاحية الأمريكية الخالصة بوجود جامع تركى بها. وفى مقاطعة أورنج بكاليفورنيا التى تضم مطار چون وين، كان أول وليدين يولدا فى هذه الألفية أحدهما أمريكى كمبودى والآخر أمريكى مكسيكى. وفى سنة ١٩٥٠م، كان ٨٩ ٪ من سكان أمريكا بيض و١٠ ٪ سود. ولم يكن تعداد الأجناس الأخرى يذكر. واليوم يشكل السود ١٢,٧ ٪ من مجموع السكان، أى أقل من نسبة اللاتين التى تبلغ ١٤ ٪. وإن استمرت المعدلات الحالية، فسرعان ما سيصبح اللاتين

أغلبية فى مقاطعة لوس أنچيليس. وفى غضون عشرين سنة ستكون لهم الغلبة فى كل من تكساس وكاليفورنيا. وفى سنة ٢٠٥٠م، سيكون واحد من كل أربعة من مجموع الأربعمائة مليون نسمة الذين سيعيشون فى الولايات المتحدة لاتينيًا، وإذا أضفنا الآسيويين ستكون نسبتهما معًا واحد من كل ثلاثة.

يعطى الجانب السكانى الديمقراطيين الأمل. ومع أنهم ليسوا أكثر الناخبين اتباعًا لضمائرهم، فإن الأمريكيين من أصول أخرى زادوا نسبتهم من جمهور الناخبين من حوالى العُشر فى سنة ١٩٧٢م إلى ما يناهز الخُمس فى سنة ٢٠٠٠م - وقد يصلون إلى الرُبع فى سنة ٢٠١٠م.[١٤] وهذه الأقليات تؤيد الديمقراطيين بصورة كاسحة حتى الآن. والأمريكيون من أصل كوبى هم الاستثناء الكبير الوحيد، إذ تمسكوا بالجمهوريين ظنًا بأنهم سيتخذون خطًا أكثر تشددًا مع فيدل كاسترو.

ونرى من جانبنا أن الصورة قد تبدأ فى التغير. والسؤال الكبير عن اللاتين هو ما إذا كان الأمر سينتهى بهم بالتصويت كالأمريكيين السود أو من أصل إيطالى؟. فالسود التزموا بقضية الديمقراطيين بولاء واضح، لكن معظم جماعات المهاجرين تتخذ وجهة جمهورية كلما طال بهم البقاء فى البلاد. فينتقلون إلى الضواحى ويفقدون الصلة بآلات الحزب الديمقراطى السياسية الحضرية الكبرى. ويبدأون مشروعاتهم الخاصة فيصبحون أكثر تلقيًا لرسالة الحزب الجمهورى الأميل لتخفيف القوانين. وكل هذه أمور تحدث للاتين أيضًا على ما يبدو. فأظهر تحليل لأنماط التصويت بين اللاتين فى عشر ولايات فى انتخابات ٢٠٠٠م، أن حوالى ثلث اللاتين أيدوا مرشحى مجلس الشيوخ من الجمهوريين ونصفهم تقريبًا انتخبوا الحكام الجمهوريين.[١٥] وفاز چورج بوش الابن بما يناهز ٤٠٪ من أصوات اللاتين على المستوى القومى فى انتخابات ٢٠٠٤م. وتظل كاليفورنيا الاستثناء الأكبر؛ حيث ارتمى اللاتين فى أحضان الحزب الديمقراطى بقوة، لا بمقتضى التيارات الاجتماعية الكامنة بل بالتخبط السياسى الكبير الذى وقع فيه بيت ويلسون بدعمه للاقتراح ١٨٧ الذى يسعى لحرمان المهاجرين غير الشرعيين من المزايا التى تقدمها الولايات. يقول جريجورى رودريجو وهو كاتب مقيم بلوس أنچيليس: «كانوا يصفوننا بالكسل والتبطل، فى حين أنه ما من ناخب يناهض دولة الرفاهة كالمهاجر المكسيكى».[١٦]

هذا النوع من التعليقات يؤكد زعمًا آخر يقول به المتفائلون الجمهوريون، وهو أن اللاتين مكافحون ويخلصون فى عملهم ويخشون الله ويؤمنون بالأسرة ويتسمون بالطموح. ولديهم أعلى معدلات العمالة بين الذكور بين كافة الفئات ومن أقل معدلات التدنى فى عضوية النقابات العمالية والاعتماد على دولة الرفاهة. (١٧٪ فقط من المهاجرين اللاتين الفقراء يتلقون إعانة الفقر مقارنةً بنسبة ٥٠٪ من فقراء البيض و٦٥٪ من فقراء السود.)[١٧] ويعد اللاتين من الفئات العرقية الأكثر ميلاً للحياة الأسرية فى المجتمع الأمريكى. كما أنهم يتميزون بميل واضح لبدء مشروعات خاصة بهم وشراء بيوت خاصة بهم - وكلاهما من سمات النزعة الجمهورية. ويقول رودريجو الذى أجرى دراسة مفصلة على اللاتين فى منطقة لوس أنچيليس بمقاطعاتها الخمس فى التسعينيات، إن أكثر السمات انتشارًا بينهم هى التحرك اجتماعيًا لأعلى إلى الطبقة المتوسطة. وتبين الدراسة التى أجريت عام ١٩٩٠م أن اللاتين الذين ولدوا فى الولايات المتحدة لديهم حياة أسرية من الطبقة المتوسطة توازى أربعة أمثال نظرائهم الفقراء وأن ٥٠٪ من اللاتين الذين ولدوا فى الولايات المتحدة يتمتعون بدخل أسرى يفوق المتوسط المحلى. ونسبة المهاجرين اللاتين الفقراء تنخفض بشدة كلما طال بهم المقام فى الولايات المتحدة - وترتفع نسبة من يتملكون بيوتهم ارتفاعًا كبيرًا. وفى غضون عشرين سنة من وصولهم البلاد، يمتلك نصف اللاتين البيوت التى يسكنوها.[١٨]

ليس معنى هذا وجود احتمال اتجاه اللاتين جماعيًا نحو حظيرة الجمهوريين. فتدفق مهاجرى أمريكا الجنوبية على فرص العمل ذات الأجر المتدنى تمثل تدفقًا لأعضاء جدد فى الحزب الديمقراطى. ومع ذلك فهناك احتمال أن ينقسم الصوت الانتخابى اللاتينى إلى شرائح طبقية كلما اتبع اللاتين نمط الأمريكيين من أصل إيطالى. وما من شىء يمنع الجمهوريين من اختراق صفوف اللاتين شريطة ألا يضروا أنفسهم بدعم سياسات تفرض قيودًا على المهاجرين. ولا شك أن بوش الذى فاز بصوتين من بين كل خمسة أصوات لاتينية فى سنة ٢٠٠٤م (فى مقابل واحد من كل خمسة «بوب دول» فى سنة ١٩٩٦م) يعى ذلك. فهو الذى روج فكرة برنامج شامل للعمال الضيوف» فى أوائل رئاسته، إلا أن الفكرة خفتت لدواعٍ أمنية فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر. وفى يناير ٢٠٠٤م، عاد إلى الموضوع واقترح منح وضع قانونى مؤقت لعدد يتراوح بين ٨ إلى ١٠ مليون مهاجر غير شرعى فى أمريكا (نصفهم من المكسيك). وربما كانت هذه

الإيماءة التى لقيت ترحيبًا شديدًا من الحكومة المكسيكية سببًا فى فوز الجمهوريين بأصوات اللاتين فى الولايات المتأرجحة كفلوريدا ونيومكسيكو ونيڤادا.

حتى فى كاليفورنيا الأمل ليس مقطوعًا فى اللاتين. وسنتناول تجربة كاليفورنيا فى سنة ٢٠٠٣م بمزيد من التفصيل فى هذا الفصل، ولكن ينبغى التنويه إلى أن أرنولد شوارزينجر فاز بواحد من كل ثلاثة أصوات لاتينية. قد يبدو هذا قليلاً إلى أن نأخذ فى الاعتبار أنه كان ينافس صاحب أعلى منصب بين اللاتين بين ساسة كاليفورنيا وهو الحاكم الديمقراطى اللاتينى الأصل كروز بوستامانتى الذى فاز بنسبة ٥١ ٪ من أصوات اللاتين. كما تعرض شوارزينجر لنيران المؤسسة الديمقراطية لتأييده الاقتراح ١٨٧، ولاتخاذه پيت ويلسون مديرًا لحملته الانتخابية. بل إنه لم يُدع لحضور الموكب المكسيكى السنوى المقام فى لوس أنچيليس. إلا أن شوارزينجر استمر فى طريقه ونبذ فكرة أنه هو أيضًا كان مهاجرًا معدمًا وركز على تأييده العمل الإيجابى، بل أثنى على المكسيك باعتبارها بلدًا عظيمًا لإنتاج الأفلام السينمائية. ومع أن تأييده بين اللاتين كان أدنى منه بين البيض (الذين فاز بنسبة ٥٢ ٪ من أصواتهم) فإن تأييدهم إياه كان أعلى من تأييد السود الذين لم يعطوه سوى ١٧ ٪. وحتى فى كاليفورنيا نجد أن اللاتين منفصلون عن الديمقراطيين على عكس السود.

القلق المهنى

ماذا عن الفئة الأخرى التى قال بها المؤلفان چوديس وتايكسيرا، أى المهنيين؟ يعد المهنيون ديمقراطيين منذ ١٩٨٨م بعد أن كانوا حصن الحزب الجمهورى. وهم كاللاتين يمثلون نسبة متزايدة من السكان، حيث حققوا تزايدًا من ٧ ٪ من القوة العاملة فى الخمسينيات إلى ١٥ ٪ حاليًا؛ ولديهم أيضًا هامش أعلى من سائر الفئات المهنية حيث يشكلون ٢١ ٪ من الناخبين الذين يدلون بأصواتهم على المستوى القومى وربع الناخبين فى ولايات الشمال الشرقى.[١٩] ويشير المؤلفان إلى أن سان فرانسيسكو وشيكاغو ونيويورك والتى تستخدم معظم المواهب المبدعة فى البلاد، أقرب إلى التصويت لصالح الديمقراطيين منهم للجمهوريين. ويذهبان إلى أن مزاج هذه الأيام يحدده عمال المعارف الليبراليون اجتماعيًا ممن يمتد نفوذهم إلى ما وراء جماعاتهم البوهيمية.

صحيح أن بيل كلينتون أبلى بلاءً حسنًا فى أماكن كهذه فى التسعينيات، ولكن هل لهذا أية أهمية على المدى البعيد؟ هناك استطلاع أجراه أحد أفضل هواة الأرقام فى إدارة كلينتون، وهو مارك بن لحساب «مجلس القيادة الديمقراطى» فى يونيه ويوليه ٢٠٠٣م على ١٢٢٥ من ناخبى ٢٠٠٤م المحتملين، وخرج بصورة مختلفة تمامًا.[٢٠] فالمهنيون يتشككون إلى حد بعيد فى الحزب الديمقراطى لمبالغته فى تأييد الحكومة الكبيرة ولانصياعه التام لجماعات الضغط. ووجد الاستطلاع أنهم يرون أن الجمهوريين لديهم أفضل سياسات بهامش ٢١ ٪. وأيد سكان الضواحى سياسات الجمهوريين بهامش ١٥ ٪؛ وبلغ هذا الهامش ٢٩ ٪ بين الموظفين. وهذه الفئات غير كاملة ومتداخلة بالطبع ولكنها لا تنم عن أن سكنى الضواحى والعمل فى الصناعات الخدمية يعتبر نعمة بالنسبة للديمقراطيين.

ومن المشكلات الكبرى التى تعتور رأى المؤلفين فيما يتعلق بالمهنيين تجاهل أهمية دورة الحياة فى تغيير الانتماءات السياسية لدى الناس. فالناس يميلون للجانب المحافظ عادةً عندما يتزوجون وينجبون. وقد لا تجد دعوة الجمهوريين لخفض الضرائب وتشديد العقوبات على الجريمة أى صدى بين المهنيين الشباب ممن يحيون حياة أشبه بحياة المسلسلات الأمريكية فى مانهاتن أو سان فرانسيسكو، ولكنهم يدخلون دوائر أكثر واقعية بعد أن ينجبوا أطفالاً وينتقلوا للسكن على أطراف المدن. وأعطى استطلاع بن الجمهوريين تفوقًا قدره ١٩ نقطة بين المتزوجين ويعولون أطفالاً. وكان بيل كلينتون الديمقراطى الوحيد الذى يفوز بأصوات تلك الفئة (حقق بهم سبع نقاط فى سنة ١٩٩٦م). ولكن منذ ذلك الحين عاودتهم الشكوك القديمة فى الديمقراطيين. وحصل چورچ بوش على هذه الفئة بـ ١٩ نقطة فى سنة ٢٠٠٤م.

وإذا كان «سنست بوليڤار» ينبئ بأحد أوجه مستقبل البلاد فهناك مناطق فى جنوب كاليفورنيا تنبئ بمستقبل مختلف أكثر مودة مع الجمهوريين. فإذا اتجهنا إلى الطرف الشرقى من حوض لوس أنچيليس وراء الشرق اللاتينى من لوس أنچيليس صوب منطقة السكن والمحلات الغريبة وحدائق المكاتب المعروفة محليًا باسم «إنلاند إمپاير» فسنكتشف عالمًا مختلفًا تمامًا. نما سكان المنطقة من ١,٦ مليون نسمة فى سنة ١٩٨٠م إلى ٣,٢ مليون فى سنة ٢٠٠٠م، مما جعلها واحدة من أسرع المناطق نموًا فى البلاد. وتتنبأ إدارة الإحصاء

السكانى أن يتضاعف سكان «إنلند إمپاير» على مدار العقدين القادمين مجتذبة الناس أكثر من كافة الولايات عدا خمس.[٢١] ومعظم هذا النمو قائم على الأسر الشابة (معظمهم من اللاتين والآسيويين) الهاربة من لوس أنچيليس بسبب مدارسها التى تزداد سوءاً وأسعار الإسكان العالية. وتباهى منطقة «إنلاند إمپاير» بواحدة من أعلى النسب من البيوت التى يقطنها «متزوجون ويعولون» فى البلاد، وهى منطقة جمهورية فى معظمها حيث يسيطر الحزب الجمهورى على ثلاث من دوائرها الأربع.

أكثر الدوائر الأربع تنوعًا عرقيًا وهى الدائرة الثالثة والأربعون التى يعد ٧٧ ٪ من سكانها أقليات هى الديمقراطية. ومن ناحية أخرى، فنائبها فى مجلس النواب چون باكا صاحب أحد أكثر سجلات التصويت محافظة فى التمثيل النيابى لكاليفورنيا. ويحكم الحزب الجمهورى سيطرته على الدائرة الثانية والأربعين التى يشكل اللاتين ربع سكانها والآسيويون سدسهم. ونائبها فى مجلس النواب جمهورى محافظ هو جارى ميلر، وصوت ٥٩ ٪ من دائرته لصالح بوش فى انتخابات ٢٠٠٠م. وقد يرجع ذلك إلى أن التنوع العرقى مسألة تتوارى من حيث الأهمية أمام حقيقة أن الدائرة (وتضم مسقط رأس ريتشارد نيكسون «يوربا ليندا») تنتشر بها المشروعات الصغيرة وتباهى بأنها تضم أعلى نسبة متزوجين فى الولاية.

وغنى عن القول إن ضواحى جنوب كاليفورنيا احتشدت وراء شوارزينجر كما فعلت مع غيره من الجمهوريين المعتدلين. ولنتذكر أن هذه كاليفورنيا، أى قلب الوحش الديمقراطى. ويفترض فى الضواحى فى بقية الغرب والجنوب أن تكون ذات ميول جمهورية. وفى الوقت نفسه، ففى ولاية نيويورك التى تعتبر بصفة عامة معقلاً آخر للديمقراطيين، تذهب أصوات ناخبى الضواحى لتأييد المرشحين الجمهوريين لا سيما المعتدلين منهم، ويشهد على ذلك السهولة التى فاز بها چورچ پاتاكى الذى فاز بفترتين كحاكم بها.

الحالة الجمهورية

«إنلاند إمپاير» تثبت أن الديموجرافيا ليست قدَرًا. فأى ديمقراطى يحسب أن الحزب يستطيع أن يُسقط الأداء المشهود الذى حققه بيل كلينتون فى أوساط المهنيين

واللاتين على المستقبل غير المنظور يكون واهمًا. وفى الوقت نفسه فالمحافظون ولا سيما مايكل بارون محرر Almanac of American Politics يشيرون إلى تيارات وتطلعات اجتماعية أخرى تدفع الناس باتجاه الحزب الجمهورى.[٢٢] وانطباعنا هو أن الجمهوريين أكثر وعيًا من الديمقراطيين بأربع من أكثر الأولويات أهمية عند الأمريكيين: الأعمال والملكية والاختيار، وبصفة خاصة الأمن القومى.

إن أمريكا حضارة أعمال ومشروعات. فهى بلاد تنشئ أعمالاً تجارية أكثر من أى بلد آخر فى العالم، وتعطى رجال الأعمال مكانة أسمى بكثير. ويبدو أن انحياز أمريكا للأعمال التجارية أفلت بسهولة من تضخم فى عدم المساواة ووباء فضائح المؤسسات، من تلاعب المديرين التنفيذيين بالنظام، وخداع حملة أسهمهم وسرقتهم موظفيهم. ويعتقد ٣١٪ من الأمريكيين أنهم سيحققون الثراء ذات يوم، ويحلم العديد منهم بافتتاح شركته الخاصة وهم يحسنون الظن بأصحاب أعمالهم إلى حد بعيد.[٢٣] وسجل الجمهوريين كحزب موال للأعمال التجارية لا يخلو من نقائص (فهم أكثر اهتمامًا بالسمسرة لصالح الأعمال القائمة منهم بتنشيط التنافس) ولكنهم بصفة عامة أكثر دعمًا للمشروعات والأعمال من الديمقراطيين من كافة النواحى، من التقنين إلى التبادل التجارى إلى إصلاح الأضرار. ويحظون بتأييد حاسم من جماعات الأعمال الأمريكية الكبيرة والصغيرة على السواء.

وثانية الميزات التى يتمتع بها الجمهوريون تتصل بالأولى اتصالاً وثيقًا، وهى الملكية. ذات مرة قال ديزرائيلى إن أفضل فرص نجاح حزب تورى [المحافظين] البريطانى تكمن فى خلق «ديمقراطية ذات ملكية». وينطبق ذلك على الحزب الجمهورى اليوم. فيشير بارون إلى أن أمريكا شهدَت ثورة فى نوع واحد من الملكية هى ملكية الأسهم، و «فى غضون عشر سنوات فقط، تغير جمهور الناخبين منَ جمهور أغلبيته الساحقة من غير المستثمرين إلى جمهور أغلبيته من المستثمرين».[٢٤] وزيادة المستثمرين معناه زيادة أصحاب الحصص فى أمريكا ممن سيتشككون فى كبح الأعمال، وهو ما لم ينفع حملة آل جور فى سنة ٢٠٠٠م والتى كان شعارها «الشعب فى مقابل الأقوياء». كما أن زيادة المستثمرين معناه زيادة من لديهم الاستعداد لاعتبار إحدى القضايا التى تميز الحزب الجمهورى ـ أى خصخصة «الضمان الاجتماعى» ـ ميزة له.

ويدعى الديمقراطيون أن «الأمن الاجتماعى» ثالث قضبان السياسة الأمريكية وهو أخطر من أن تلمسه، ولا شك أن بوش يشعر بالقلق من الاقتراب منه. إلا أن الشباب بوجه خاص متحمسون للإصلاح. ففى صيف ٢٠٠٢م، وفى خضم إحدى أكبر فضائح المؤسسات فى تاريخ أمريكا، بين استطلاع أجراه «معهد كاطو» و «زغبى إنترناشيونال» أن أكثر من ٦٨ ٪ من المرجحين أن يدلوا بأصواتهم الانتخابية، يؤثرون «تغيير نظام «الضمان الاجتماعى» لإعطاء شباب العمال فرصة لاستثمار جزء من ضرائب الضمان الاجتماعى الخاصة خلال حسابات فردية». [٢٥] والحزب الجمهورى لديه الفرصة لإيجاد دائرة فعّالة من خلال خصخصة الضمان الاجتماعى وما يؤدى إليه من تزايد عدد المستثمرين وما يترتب عليه من خفض حدة العداء لأى خفض جديد فى دور الحكومة.

والميزة الثالثة يحب كثير من الديمقراطيين ادعاءها لأنفسهم، وهى الاختيار. لكننا هنا نتحدث عن شىء غير الإجهاض. فكان العصر الصناعى الأول عصر تنظيمات عملاقة والانتاج النمطى. كان هنرى فورد يقول لعملائه إنه يمكن لهم أن يختاروا سيارات بأى لون طالما كانت سوداء؛ وكان والتر رويثر يحرك أعضاء الاتحاد الذى يمثله كأنهم أسنان تروس فى آلة سياسية ضخمة. وعصر المعلومات يختلف بكل تأكيد. فأربع من كل خمس فرص عمل جديدة فى أمريكا يخلقها مشروع صغير. وأمريكا الحديثة عالم البث الضيق لا البث الواسع، عالم الريموت كنترول ومحرك جوجل البحثى والهاتف الخلوى الفردى. وعندما يشعر الناس بحرية اختيار شكل أنوفهم أو حتى جنس أطفالهم، فمن المستبعد أن يقبلوا قائمة ثابتة من الخدمات من أية حكومة. وباستثناء الإجهاض، فإن الجمهوريين يعطون انطباعًا بأنهم يقدمون اختيار أوسع من الديمقراطيين. والحجة الوحيدة لخفض بوش للضرائب، والتى ظلت ثابتة، هى أن الناس يجب أن يتمكنوا من تقرير الطريقة التى يتصرفون بها فى أموالهم. فالسياسات المحافظة الخاصة بالتعليم والرعاية الصحية والضمان الاجتماعى كلها تحاول أن تمنح الناخبين المزيد من الاختيار فى توجيه المال العام. أما الديمقراطيون فهم ضد اختيار المدارس وخصخصة الضمان الاجتماعى جزئيًا.

أقوى ورقة فى يد الحزب الجمهورى هى الأمن القومى. وربما لم يلعب الجمهوريون دائمًا بهذه الورقة ببراعة منذ أحداث ١١ سبتمبر، ولكن يبدو أنهم يتحكمون فى قضية عادت عليهم بالنفع من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٨م. ففى هذين العقدين، لم ينجح شىء فى إقصاء الجمهوريين عن البيت الأبيض إلى حين إلا نكبة واترجيت ـ وجاءت رئاسة كارتر التعسة لتؤكد مخاوف الناس من فظاظة الديمقراطيين.

سمحت أحداث ١١ سبتمبر للجمهوريين أن يؤكدوا من جديد بقوة على ميزتهم التقليدية. فالأمريكيون مرة أخرى يشعرون بأنهم معرضون للضرب والهجوم المباشر ربما بصورة أعنف مما شعروا به إبان الحقبة الشيوعية. وزادت روح الوطنية حيث بينت الاستطلاعات أن تسعة من كل عشرة أمريكيين يشعرون بالفخر أنهم أمريكيون وأن الجمهوريين أكثر فخرًا من الديمقراطيين.[٢٦] ومن المستبعد أن يحظى بوش مرة أخرى بما حظى به من بريق فى أعقاب ١١ سبتمبر (حيث ظلت معدلات تأييده على ارتفاعها لمدة أطول من أى رئيس آخر منذ بدأت الاستطلاعات فى سنة ١٩٣٥م). أما فى المستقبل القريب، فمن غير المحتمل أن يعاقب الأمريكيون أحدًا لحرصه الزائد على الأمن القومى. ولنعد إلى استطلاع بن الذى أجراه فى يوليه ٢٠٠٣م ـ وهى فترة شهدت خسائر يومية فى العراق وتأكيدات مستمرة من الديمقراطيين بأن جورج بوش الابن يبالغ فى الخطر الذى يمثله صدام حسين وهبوط شعبية بوش إلى حوالى ٥٠ ٪. بينت الاستطلاعات أن الأمريكيين يؤثرون الجمهوريين بـ ٢٨ نقطة مئوية فيما يتعلق بالإرهاب و ٣٣ نقطة فيما يتعلق بالأمن الداخلى و ٣٥ نقطة فيما يتعلق بالأمن القومى. وظهر فى هذا التفوق بعض دلائل الثبات. ففى يناير ٢٠٠٤م، بين استطلاع أجرته شبكة إيه. بى. سى. وصحيفة واشنطن بوست أن الناخبين يفضلون بوش على ديمقراطى نظرى بـ ٢٩ نقطة فيما يتعلق بالإرهاب و ٢٠ نقطة فيما يتعلق بالعراق.[٢٧] وكلما لعب الجمهوريون بورقة الأمن القومى بقوة ـ كما فعلوا ضد عضو مجلس الشيوخ ماكس كليلاند فى جورجيا فى سنة ٢٠٠٢ م ـ فعادة ما يتفوقون. ولعبوا بهذه الورقة مرارًا فى حملة ٢٠٠٤م، بل إنهم جعلوا توقيت مؤتمرهم حول الذكرى السنوية لأحداث ١١ سبتمبر.

وباختيار الديمقراطيين چون كيرى بطل حرب ڤيتنام الشهير مرشحًا لهم فى سنة ٢٠٠٤م، كانوا يظنون أنهم عثروا على درع يقيهم هجوم الجمهوريين الضارى. ولم يتردد كيرى فى إشهار سجله الحربى مناقضًا ضمنيًا قراره بالخدمة فى ڤيتنام مع قرار چورچ بوش الابن بالانضمام إلى الحرس الوطنى، ولا شك أنه كان فى وضع أفضل لصد سخرية الجمهوريين من ضعفه فيما يتصل بالدفاع من هوارد دين مثلاً. إلا أن السيرة الذاتية ليست كل شىء؛ إذ كان ماكجڤرن بطلاً حربيًا أيضًا. وحتى فى أوائل مارس، عندما تفوق كيرى على بوش فى الاستطلاعات فى القضايا الداخلية، كان لا يزال يتخلف عنه فى قضايا ذات صلة بالحرب على الإرهاب، وكان تذبذب كيرى فى القضايا المتعلقة بالدفاع موضع هجوم. وأعاد كيرى التأكيد على صورته الحربية فى مؤتمر بوسطن، إلا أن هذه الصورة شوهتها مجموعة من المحاربين القدامى فى قوارب سريعة حيث شككوا فى سجله الحربى وانتقاده لغيره بوصفه من المتظاهرين من أجل السلم. وجاء الضرر الأكبر من ميل كيرى للمراوغة فيما يتصل بالعراق؛ فبدا كحزبه غير قادر على تحديد ما إذا كان يؤيد الصراع.

ومن الممكن أن تؤدى مسألة الأمن القومى حتى إلى استبعاد أكبر عائق فى طريق الجمهوريين، ألا وهو الشعور بانحسار قيمهم. فعار حرب ڤيتنام حلت محله صدمة ١١ سپتمبر. فالقصص لا تدور حول جنود يذبحون المدنيين، بل حول إطفائيين يهرعون إلى داخل مبان تحترق، وحول ركاب الرحلة ٩٣ الذين ثاروا على مختطفيهم. وتود بيمر الرجل الذى ردد الدعاء للرب على الهاتف الهوائى قبل أن ينهى مكالمته بعبارة «هيا بنا نعمل» أصبح رمزًا قوميًا. قد يكون من السطحية القول بأن تود بيمر سيؤدى إلى تحويل شباب الأمريكيين إلى جمهوريين، ولكن من الصعب تصور ألا يكون له أى أثر. فاليسار بدا كأن المشهد روعه، وكشفت كاثا پوليت وهى كاتبة عمود بمجلة «نيشن» عدم إدراك عجائز اليساريين حين وصفت جدالها مع ابنتها ذات الثلاث عشرة سنة والتى تذهب إلى مدرستها الثانوية على بعد أمتار من مركز التجارة العالمى. كانت ابنتها تريد أن ترفع العلم الأمريكى فاعترضت الأم قائلة: «طبعًا لا، فالعلم يرمز للغلو فى الوطنية وطلب الثأر والحرب». (٢٨)

من الجرأة الزعم بأن كل هذا معناه سطوة جمهورية تلقائية، أو أن التغيير الكامل الذى بدأ فى ظل ماكينلى (أو الذى حققه روڤ وبوش فى تكساس) انطلق الآن. ومع

ذلك فالقول بأن الجمهوريين سيصبحون الحزب الحاكم الأساسى على المستوى القومى ليس افتراضًا خياليًا لا سيما فى ضوء انتخابات ٢٠٠٤م. فالمسألة ليست الرئاسة وحدها، فهم يحكمون سيطرتهم على الكونجرس بمجلسيه. ومن الطبيعى لشعب محافظ كهذا أن يصوت لصالح الأكثر محافظة من الحزبين. ويبقى السؤال ما إذا كان الجمهوريون يستطيعون مواصلة اغتنام هذا التحيز، وليس هذا استنتاجًا «سابقًا».

* * *

الفصل العاشر

كيف يمكن أن تسير الأمور على غير ما يرام؟

جنوبى وجشع ومتناقض أكثر من اللازم

فى الخامس من ديسمبر ٢٠٠٢م، أقام مجلس الشيوخ حفلاً لعيد ميلاد ستروم ثورموند المئوى (والأخير). وكان حدثًا مشهودًا بكل المقاييس، إذ حقق ثورموند أطول عضوية فى مجلس الشيوخ على الإطلاق وأول من بلغ المائة به. ولد ثورموند قبل ظهور التليفزيون وقبل الشيوعية، ومع ذلك كان لايزال على صهوة جواده ولا يزال يساعد فى صوغ مصير القوة العظمى الوحيدة الباقية فى العالم. وكان مما أضفى بريقًا على الحدث التعليقات التى قيلت عن حياة ثورموند غير العادية وحبه المفرط للنساء. تزوج ستروم بزوجته الثانية ملكة جمال ساوث كارولينا ابنة الاثنين والعشرين ربيعًا وهو شيخ فى السادسة والستين من عمره. واستمر الزوجان السعيدان ورزقا بأربعة أبناء. وكان لا يزال يغازل النساء وهو فى التسعينيات من عمره، على الرغم من شعره المزروع ذى الشكل المخيف. قال أحد زملائه بمجلس الشيوخ ذات مرة: «عندما يموت سيضطرون لضرب عضوه بمضرب البيسبول لكى يتمكنوا من إغلاق النعش». (١)

وسرعان ما اشتهر حفل عيد ميلاد الشيخ العجوز لسبب مختلف. كان ترينت لوت، زعيم الأغلبية الجمهورية الجديد والذى فرغ لتوه من انتخابات ٢٠٠٢م بنجاح، أحد المتحدثين ممن أثنوا على ثورموند وخدمته الطويلة. ولم يكن لوت تنقصه المادة نظرًا لطول عمر المحتفى به وحياته الحافلة، إلا أنه قرر الثناء على ثورموند لخوضه

الانتخابات كمرشح رئاسى يؤيد الفصل العنصرى فى سنة ١٩٤٨م. أعلن عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ميسيسيبى قائلاً: «أود أن أقول باسم ولايتى: عندما ترشح ستروم ثورموند للرئاسة صوتنا له ونحن فخورون بذلك. ولو حذت بقية البلاد حذونا، لما عانينا كل هذه المشكلات عبر كل هذه السنين».

قال لوت فيما بعد إنه كان يقصد الإشارة إلى حقوق الولايات، إلا أن التلميح كان واضحًا تمامًا، وهو أن الأمور كانت ستصبح أفضل كثيرًا لو تم الإبقاء على چيم كرو. ومضى يومان بدا فيهما كأن لوت أفلت بفعلته. دفن التيار الرئيسى للصحافة القصة، إلا أن تحالف النشطاء السود ومواقع الإنترنت المحافظة فرضتها على الصفحات الأولى. فتبرأ منه البيت الأبيض وانزوى لوت التعيس إلى الظهور على شاشة «تليفزيون تسلية الزنوج» ليدعى أنه لطالما كان من مؤيدى العمل الإيجابى، وهى عقيدة يبدو أنه كان يحتفظ بها لنفسه سرًا. وانتهى الأمر باستقالته كزعيم الأغلبية، واضطر لمشاهدة بيل فريست الجنوبى ذى الوجه الأكثر قابلية على الشاشة وهو يتولى قيادة مجلس الشيوخ الجمهورى الجديد.

كان لوت بالنسبة لكثرة من الجمهوريين شبح مخيف يذكرهم بماضى حزبهم العنصرى. وتبين أنه قضى ردحًا من حياته العملية يغازل أشباح الجنوب القديم. وحين كان طالبًا فى «أول ميس» فى أكسفورد بولاية ميسيسيبى قاد حملة ضد دمج البيض والسود فى أخوية. وفى أثناء عضويته بمجلس الشيوخ ألقى خطبًا أمام «مجلس المواطنين المحافظين» وهى هيئة أنشئت لتخلف «مجالس المواطنين البيض» المؤمنين بالفصل العنصرى فى الستينيات. وفى تجمع فى جرينوود بولاية ميسيسيبى فى سنة ١٩٩٢م قال: «إن الناس فى هذه التجمع يمثلون مبادئ الحق وفلسفة الحق».[٢]

كان لوت مسخة الحزب الجمهورى من حيث الهيئة (كان شَعره لا يقل غرابة عن شعر ثورموند). ولكن إذا ألقينا نظرة عن كثب على حفل عيد ميلاد ستروم، تصبح الصورة أقل رعبًا إلى حد ما. وإذا كانت خطبة لوت دليلاً على عدم تغير بعض الجمهوريين، فإن عزله الفورى دلل على التغير الكبير الذى طرأ على الحزب. ومهما كانت عيوب چورچ بوش الابن فإنه أكثر إحجامًا عن اللعب بورقة العنصرية من أسلافه

(بما فيهم أبيه). بل إنه سعى لإضفاء طابع متعدد الثقافات على حزبه فى كافة الجوانب، من المؤتمرات فى فيلادلفيا ونيويورك إلى حكومته متعددة الألوان.

إن قضية لوت صورة مصغرة لحالة الحزب الجمهورى، فهى توحى بعمق ما يعانى من مشكلات، مع قدرته على التعامل معها. والتحدى الحقيقى الذى يواجهه الحزب ليس ولاء هذه الفئة السكانية أو تلك؛ بل صورة الحزب وسياسته ـ إمكانيته للتطرف والتعصب، وتناقضاته، وضعفه أمام مختلف المصالح الثابتة، وقدرته الحمقاء على إفساد الأمور. وكان يبدو أن كل هذه الأشياء لا تهم فى انتخابات ٢٠٠٤م، ولكنها ستحدث فارقًا كبيرًا فيما يأول إليه الحزب الجمهورى على المدى البعيد. كيف يمكن أن تتعثر الأمور؟ سننتقل إلى مشكلتين بعد قليل: إنزلاق الجمهوريين فى الإنفاق الحكومى، واستمرار خطر التعصب متمثلاً فى لوت. إلا أننا سنبدأ بالتحدى الذى يواجه أية قيادة جمهورية فى «تضبيط الجماهير» ـ وهو ما يبقى على تماسك هذا الحزب ـ متفاقم الحزازات ـ من التهام قائده.

تضبيط الجماهير

تخيل للحظة أنك جورج بوش الابن. وبينما أنت تحدق فى إمبراطوريتك السياسية، يدهشك سخف التحالف الجمهورى. إذ كيف تمكنتَ من إقناع كولن باول وتوم ديلاى نوعية القتال نفسها؟ ماذا يفعل المحافظون الجدد، أيهادنون الأصوليين؟ هل هناك ما يجمع بين أولمپيا سنو وآن كولتر؟ هل هناك شىء مشترك بين أرنولد شوارزينجر وپات روبرتسون؟

إن التناقضات حتمية فى أى حزب قومى فى بلد بحجم أمريكا. ورد عن «هيتش. إل. منكيت» أنه قال إن الحزب الديمقراطى يتكون من «عصابات من أعداء طبيعيين فى حالة تعايش مزعزع». وما تناقضات الجمهوريين إلا انعكاس لنجاحهم فى جمع شتات هذا التحالف العريض. ونتذكر عبارة والت وايتمان عن أن تناقضات المرء دليل على شناعته.[٣] وكان من دواعى سرور معظم الديمقراطيين أن يعانوا «مشكلة» وجود كثرة من بيض الجنوب فى حزبهم. ومع ذلك فهذه التناقضات تمثل مشكلة حين يتعلق الأمر بالدهاء السياسى. انظر إلى أى موضوع وستجد جدلاً محتدمًا حوله. فهناك جماعة

من المحامين الجمهوريين تعتقد أن أفضل السبل لهزم القضاة الليبراليين (لا سيما فيما يتعلق بالإجهاض) تأكيد سيادة السلطة التشريعية مثلاً. إلا أن هناك فريقًا آخر يؤيد القضاة النشطاء ضد السلطة التشريعية شريطة أن يلتزموا بالدستور فيما يتعلق بأمور كالأسلحة النارية وحقوق الملكية بالطبع.

وبدلاً من الخوض فى تفاصيل كل شريحة من شرائح الجمهوريين، سنركز على ثلاثة تناقضات متداخلة: الانقسام الأيديولوچى بين التحرريين والتقليديين، والانقسام الاجتماعى بين المحافظين الدينيين ودوائر الأعمال، والتوتر المنطقى بين مبادئ حرية السوق وقيم قلب البلاد.

تختلف حركة المحافظين الأمريكية المحدثة عن حركة المحافظين التقليدية كما سبق أن فصلنا فى المقدمة؛ فهى تشتمل على سمات متأصلة من النزعة الفردية والشعبية والتفاؤل بصورة كان ستحير بورك أو تشرشل. وهذه الزيادات «الليبرالية» الصريحة أضفت عليها مزيدًا من الجاذبية والحيوية، ولكنها تجر فى ذيلها مشكلات ليس أقلها التوتر بين النزعة التحررية والنزعة التقليدية. فالتحرريون يضعون الاختيار الفردى فى قلب فكرهم، أما التقليديون فيرددون الحكمة الموروثة. التحرريون ينتقدون ليبرالى الاتجاه السائد لفرضهم قيودًا أكثر من اللازم على الفرد ـ من خلال تضخم مهام الحكومة فى المقام الأول. والتقليديون ينتقدون ليبرالى الاتجاه السائد لمنحهم اختيارات أكثر من اللازم للفرد. وهاتان المدرستان تتبادلان الاتهامات منذ أن اشتبك كل من راسل كيرك وهايك فى معاركهما الجدلية فى الخمسينيات.

أشهر أسباب الجدل بينهما الإجهاض. فالتقليديون يمقتون الإجهاض باعتباره من أمارات المجتمع المريض الذى يعلى الاختيار الفردى حتى على حياة طفل لم يولد. ويؤيد التحرريون الإجهاض كجزء من تأييدهم العام لحقوق الفرد. فى سنة ١٩٩٤م، وفى معرض تبريره للسبب الذى يستحق من أجله محافظون اجتماعيون من أمثال چيرى فالويل «ركلة سريعة فى مؤخراتهم» أصر بارى جولدواتر على أن قرار إجراء عملية إجهاض «يجب أن يكون للمرأة صاحبة الشأن لا البابا ولا بعض المصلحين المثاليين الحمقى ولا الحقوق الدينية. فهو ليس مسألة محافظة على الإطلاق».(٤) وساعدت پيجى زوجة جولدواتر فى إنشاء «تنظيم أسرة» فى ولاية أريزونا، وأجرت

ابنتهما عملية إجهاض غير قانونية فى أواسط الخمسينيات. واتهم جولدواتر پات روبرتسون بمحاولة تحويل الحزب الجمهورى إلى هيئة دينية، بل إنه ساند مرشحًا ديمقراطيًا لعضوية مجلس النواب ضد محافظ مسيحى. ويقاسمه رؤيته العديد من الجمهوريين من أنصار شوارزينجر. والجدل حول الإجهاض مرشح للتصاعد فى المستقبل بفضل تقدم التقنية الحيوية الذى لا يتوقف. وأى تقدم فى التقنية التناسلية سيؤدى عمليًا لانقسام المحافظين من رجال الأعمال ممن لا يزالون يرون فرصة أخرى لجنى المال عن المحافظين الاجتماعيين القلقين من منع البشر إرادة الرب.

وإذا نقبنا فى أغوار الحزب الجمهورى سنكتشف أن المعركة بين التحررين والتقليديين تتعلق بالطبقية قدر تعلقها بالقيم. وهى بصفة خاصة معركة بين المحافظين من رجال الأعمال و المحافظين الاجتماعيين. وهما فئتان متداخلتان غالبًا؛ فكثير من المحافظين الاجتماعيين أصحاب مشروعات صغيرة (والعكس صحيح). لكن هناك أيضًا فارقًا فى أولويات كل طرف. فالمحافظون من رجال الأعمال يركزون على جمع المال، أما المحافظون الاجتماعيون فيساورهم القلق حول المصير الذى سيأول إليه المجتمع الأمريكى. والمحافظون من رجال الأعمال صناع صفقات بالفطرة، بينما المحافظون الاجتماعيون إطلاقيون [يرون المسائل إما أبيض وإما إسود، ليسوا نسبيين] بطبيعتهم. المحافظون من رجال الأعمال يرتادون النوادى الاجتماعية، فى حين يرتدى المحافظون الاجتماعيون سراويل مربعة النقش ويقرءون الكتاب المقدس قراءة حرفية. ويتضح هذا التوتر فى أجلى صوره فى شمال شرق البلاد وغربها الأوسط. ففى سانت تشارلز بولاية إيلينوى، يذهب أعضاء النخبة من رجال الأعمال بالبلدة إلى الكنيسة كل أحد بالطبع، ولكنهم يشكون أيضًا من المتطرفين «آكلى البشر» الذين يأكلون حزبهم. وحتى فى الجنوب، حيث معظم رجال الأعمال محافظين اجتماعيًا يخجلون من الخلافات الأيديولوچية ـ على الأقل ـ لأنها تضر بالأعمال وبالتجارة. والمحافظون من رجال الأعمال الجنوبيين هم الذين حاولوا أن يجدوا حلولاً وسطًا للنزاع حول رفع الولايات أعلام الكونفيدرالية(*)، وللضجة التى ثارت حول تعليق رئيس قضاة ألاباما لوحة بالوصايا العشر فى مبنى محاكم الولاية.

(*) المقصود بأعلام الكونفيدرالية تلك الأعلام التى رفعتها الولايات الجنوبية حين حاولت الانفصال عن الولايات المتحدة، وقصفت المنشآت الفيدرالية لتبدأ الحرب الأهلية.

ومن بين الأمور قليلة الملاحظة، التناقض المنطقى بين محاولة الحزب أن يكون حزب حرية السوق، وقلب البلاد. فكما أن للرأسمالية تناقضاتها الثقافية فكذلك النزعة المحافظة. والحزب الجمهورى يعتبر نفسه حزب الأعمال والنمو ولكنه يستمد من القلب بطىء النمو تأييداً أكبر مما يستمد من السواحل ذات النمو السريع. والأسوأ أن الحزب كلما ازداد نجاحًا فى تطبيق عقيدته الاقتصادية ازداد سرعة فى التهام قاعدته السكانية.

يجسد چورچ بوش الابن هذا التناقض فى كل مرة يُصَيِّف فيها فى مزرعته قرب كراوفورد. فيرتدى لباس رعاة البقر ويصطلى بحرارة النهار ويلقى الثناء باعتباره رجلاً «يشعر بالألفة فى قلب البلاد» حسب التعبير العذب للبيت الأبيض. فالأمريكيون يعتبرون «قلب البلاد» أكثر من مجرد تعبير جغرافى (الأقاليم الوسطى والمناطق الريفية من البلاد). فهى حالة معنوية: تجسيد للتراث الأمريكى من الاعتماد على النفس والقيم الأسرية وروح الجماعة، مكان يكد الناس فيه وينازلون الطبيعة وبدلاً من أن «يُفَنطوا» الرموز على شاشة [الحاسب]. قد يتمكن الديمقراطيون من الاعتماد على أمريكا السيليولوزية(*)، أما قلب البلاد فسيميل دومًا للتصويت لصالح الجمهوريين.

ومع ذلك فأمريكا السيليولوزية هى التى تتفوق فى حرية السوق. وأسوأ أنواع الفقر فى أمريكا ليس فى المدن الداخلية، بل فى الولايات الريفية مثل المسيسيبى وأركانسو وغرب ڤيرچينيا وكنتاكى. وفى سنة ٢٠٠١م، سكبت الحكومة ٢٥ مليار دولار على شكل دعم مباشر للمزارعين، ومليارات أخرى فى صورة دعم غير مباشر للماء والكهرباء والبنية التحتية. وبعيداً عن دعم نزعة فردية صارمة؛ فإن هذه الأموال خلقت نوعًا من الإقطاع الممول حكوميّا؛ حيث يتربع حفنة من أصحاب الأراضى على رأس جيوش جرارة من عمالة مهاجرة غير متعلمة وتتلقى أجوراً بخسة. ويرى پول كروجمان الصحافى بنيويورك تايمز أن الولايات «الزرقاء» (أى الولايات الساحلية التى يفوز فيها الديمقراطيون) تدعم الولايات الجمهورية «الحمراء» بحوالى ٩٠ مليار دولار سنويّا.[٥] وتحصل الولايات الحمراء على هذه الأموال الضخمة بالنفوذ السياسى على الطراز القديم، وفى مجلس الشيوخ بخاصة؛ حيث لكل ولاية نائبان فقط: ١٦ ٪

(*) المقصود الأفلام وما إلى ذلك.

من السكان ينتخبون نصف مجلس الشيوخ(*). أما بالنسبة لسمات قلب البلاد الأخلاقية التى يتبجح بها الكثيرون، فتباهى الولايات التى فاز فيها بوش فى سنة ٢٠٠٠م بمعدلات فى جرائم القتل وإنجاب الأطفال غير الشرعيين والولادة بين المراهقات أعلى من الولايات التى تسمى منحلة، والتى صوتت لصالح جور.

عجز موازنات بوش

إن استعداد بوش لتبديد المال على مشكلات كتلك التى فى قلب البلاد قد يكون بمثابة قنبلة موقوتة بالنسبة لحزبه. فالتوجيه الاقتصادى ينبغى أن يكون أحد أقوى دعاوى الجمهوريين إلى جانب الدفاع. فالجمهوريون يفترض أنهم «الحزب الأب» (الذى يأتى إلى البيت باللحم ويصد المغيرين) فى حين «الحزب الأم» الديمقراطى يرعى الفقراء والمرضى. فعلى طول تاريخهم، باستثناء ثمانينيات القرن العشرين، كان الجمهوريون يأنفون من العجز فى الموازنة. يقول جولدواتر فى «ضمير محافظ» أن الضرائب لا يجب خفضها إلا عند الاستعداد لخفض الإنفاق. وفى التسعينيات، جعل نيوت جينجريتش الموازنة المتوازنة حجر الزاوية فى مشروعه لـ «التعاقد مع أمريكا». والآن استحضر بوش عفريتًا. ففى سنة ٢٠٠٠م، سئل فى مناظرة رئاسية عن خططه لفوائض الموازنة إذا فاز بالرئاسة. فأجاب بأنه سيستغل نصفها فى دعم الضمان الاجتماعى والربع لـ «المشروعات المهمة» والربع خفض الضرائب. ولم يف بأى من هذا. وحين ترك بيل كلينتون منصبه، كان الفائض التراكمى المفترض للسنوات العشر التالية حوالى ٥,٦ ترليون دولار؛ وفى أغسطس ٢٠٠٣م، كانت «إدارة الموازنة التابعة لمجلس النواب» تتنبأ بعجز قدره ١,٤ ترليون دولار.(٦)

وأرقام العجز أفضل وأسوأ فى آن مما تبدو عليه لأول وهلة. فعلى الجانب الإيجابى ليس هناك عيب فى وجود عجز فى ظل انكماش فى النشاط الاقتصادى، بل إن هذا ما ينبغى على الحكومات أن تفعل لتخفيف آثار الركود الاقتصادى. ويستحسن أيضًا النظر إلى الأرقام من زاوية حجم الاقتصاد. وبهذه المعايير؛ فإن العجز فى موازنة

(*) عن الولايات ذات الكثافة السكانية القليلة، التى يصل عددها إلى ٢٥ ولاية، وسكانها ١٦٪ من التعداد الكلى للولايات المتحدة.

٢٠٠٤م المقدر بنسبة ٤,٣ ٪ من إجمالى الناتج المحلى لا يزال أقل من نسبة ٦ ٪ التى حققها ريجان فى سنة ١٩٨٣م. وعلى الرغم من تذمر الديمقراطيين من الفائض الذى تم تبديده على خفض الضرائب، فإن خفض الضرائب الجديد لا يزيد عن ربع إجمالى العكس المالى طبقًا لتقديرات «مكتب الإدارة والموازنة»؛ ويقدر الإنفاق الإضافى بربع آخر، ويأتى الباقى من الانكماش الاقتصادى.[٧]

ومع ذلك، فالأرقام أسوأ بكثير لسببين، أولهما أنها ليست أرقامًا حقيقية. والوسيلة الوحيدة التى كانت إدارة بوش تستطيع أن تمرر بها خفضها الضريبى الكبير الثانى من مجلس النواب هى الانغماس فى محاسبة إنرونية [مثيلة لمحاسبات إنرون]. والعديد من عمليات خفض الضرائب التى قامت بها مؤقتة من الناحية الرسمية. لكن فكرة استعادة الضرائب مضحكة. فما من سياسى سيسمح بحدوث مثل هذه الزيادات فى الضرائب. وإذا تخلصتَ من هذه الأوهام، يقفز العجز إلى ١,٩ ترليون دولار على مدار عشر سنوات. وأضف توقعات معقولة أخرى ـ تغير فى ضريبة الحد الأدنى البديلة ومزيد من الأموال لبرنامج الرعاية الصحية «ميديكير» وما إلى ذلك ـ فيصبح الرقم الرسمى عجز ٥ ترليونات دولار فى العقد التالى.[٨] وبدلاً من اللجوء إلى الدين ستعرف أميركا عجزًا بمتوسط ٣ ٪ من إجمالى الناتج المحلى على مدار العقد التالى.

والوهم الثانى أكبر. فبدءًا من ٢٠١٠م، سيبدأ جيل انفجار نسبة المواليد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى التقاعد ـ وفى تحميل عبء هائل على الضمان الاجتماعى وبرنامج الرعاية الصحية «ميديكير». والأرقام هنا مذهلة، فهناك دراسة أجراها «معهد الأعمال الأمريكى» فى سنة ٢٠٠٣م تقدر إجمالى الديون غير الممولة بمبلغ ٤٤ ترليون دولار (أى أربعة أمثال إجمالى الناتج المحلى الأمريكى)؛ ويمكن لبرنامج الرعاية الصحية «ميديكير» وحده أن يلتهم ٢٠ ترليون دولار.[٩] وإدارة بوش تهرب من هذا التحدى بدلاً من الإعداد له؛ بل إنها وسعت «ميديكير» بشكل هائل فى سنة ٢٠٠٣م بدعمها الدواء للمتقاعدين بدون أية إصلاحات جوهرية. وتذهب الدراسة نفسها التى قام بها معهد الأعمال إلى أن الانتظار حتى ٢٠٠٨م لمحاولة حل مشكلة الاستحقاقات سيزيد إجمالى الدين إلى ٥٤ ترليون دولار.

إن مسألة سوء الإدارة وما يعرف باسم «عجز بوش الاقتصادى» يتلخص فى كلمة واحدة: الإنفاق. قفز الإنفاق بمعدل ٨ ٪، وهو أعلى من المستوى الذى وصل إليه فى عهد كلينتون بالطبع. وكان لأحداث ١١ سبتمبر وأمن الوطن وحرب العراق تأثير فى ذلك ولكن بدرجة أقل مما نتصور. فكل هذه النفقات لا تمثل سوى نصف إجمالى ارتفاع الإنفاق. ويعزى بعض المحافظين أنفسهم بأن رونالد ريجان أيضًا خفض الضرائب وزاد الإنفاق. ولكن كلما أمعنت النظر فى المقارنة وجدتها فى غير صالح بوش. فلم يكن ريجان يواجه مشكلة جيل الانفجار فى المواليد، كما أنه بذل جهدًا حقيقيًا لتقليص حجم الحكومة، واعترض خمس عشرة مرة فى السنتين الأوليين من ولايته؛ فى حين أن چورچ بوش الابن لم يبد اعتراضًا على شىء فى سنواته الأربع الأولى.

وشهوة الحزب الجمهورى لا تقتصر على البيت الأبيض. فمجلس النواب حث بوش على إنفاق المزيد من الأموال على برنامج الرعاية الصحية «ميديكير». والساسة الجمهوريون فى خارج واشنطن أعلى إنفاقًا من الديمقراطيين. ففى السنوات الخمس التى سبقت ٢٠٠٢م، زادت المجالس التشريعية الإقليمية [للولايات] التى يسيطر عليها الجمهوريون الإنفاق بنسبة ٦,٥٤ ٪ فى السنة مقارنةً بنسبة ٦,١٧ ٪ للمجالس التى يديرها الديمقراطيون. وبلغ ارتفاع إنفاق الولايات أبطأ معدلاته ـ ٦ ٪ «فقط» فى السنة ـ فى مجالس الولايات التى تقاسم الحزبان إدارتها، وسيطر كل منهما على إحدى المجلسين، ما يؤكد أن اقتسام الحكم أفضل سبل كبح الإنفاق فى الغالب.[١٠]

لماذا يبدد الجمهوريون ما عرف عنهم من تعقل مالى؟ من الأعذار التى يبديها اليمين أن الجمهوريين يريدون بناء حالات عجز كبيرة حتى يفرضوا قيدًا بعيد المدى على نمو الحكومة فلا تجد أى حكومة ديمقراطية مستقبلية ما تنفق. ولكن حتى لو صح ذلك، فهل هذه سياسة حكيمة؟ إنها كمن يقول لك: بما أن زوج أختك يأكل كثيرًا فعليك أن تأكل كل ما فى البيت من طعام قبل أن يأتى لزيارتك فى العيد. فمن يؤمنون بتحجيم الحكومة لا يحاولون أن يحققوا مسعاهم من الأبواب الخلفية ـ كنتيجة غير مرغوبة لأزمة مالية.

حركة شارع كيه المحافظة، وجورج الأحمر

من أكبر أسباب سوء الإدارة الاقتصادية، ميل چورج بوش الابن لمحاباة أصحاب

الأعمال الكبرى. ليس هناك ما يعيب فى مراعاة المصالح التجارية فى بلد يقوم على مراعاة المصالح التجارية. ولكن هناك ما يعيب فى العمل لصالح أعمال بعينها فى مكافأة أصدقائك بدلاً من تشجيع التنافس.

هناك أماكن قليلة فى واشنطن سعيدة فى ظل إدارة بوش مثل سعادة شارع كيه. و شارع كيه هو مقر جماعة ضغط المؤسسات والألاعيب البارعة لتحويل الأموال من الدولة إلى دائرة خاصة من العملاء. والتعريفات التى فرضت على الصلب والخشب فى سنة ٢٠٠٢م لقيت استحسانًا شعبيًا كبيرًا من قبل الصناعات المعنية، ولكنها أضرت بصورة الجمهوريين كحزب يؤيد حرية التجارة. ومشروع قانون المزارع لسنة ٢٠٠٢م أدى فعليًا إلى قلب المساعى السابقة لإخراج الحكومة من مجال المزارع، بل أضاف ضبط الأسعار (بمبررات شبه سوفييتية بأنها «عكس دورية»). وأدى مشروع قانون المزارع فى مجمله إلى فصل دافعى الضرائب عن حوالى ١٨٠ مليار دولار خلال السنوات العشر التالية، سينتهى المطاف بمعظمها فى مشروعات زراعية كبرى خاصة من نوع أو آخر.

والأسوأ حصر صناعة الطاقة فى دائرة ضيقة. ولندَع جانبًا الجدل النظرى حول ارتفاع حرارة الأرض والذى يبدى فيه بوش مبررات معقولة أحيانًا. سياسة الطاقة من منظور شارع كيه، مسألة تافهة. وخطة ديك تشينى للطاقة، وضعتها صناعة الطاقة، وليست بالوصفة المثلى لحسن وضع السياسات (لا سيما إذا تصادف أن كان بعض أقطاب صناعة الطاقة يعملون فى إنرون). وتضمن مشروع القانون النهائى الذى يناقش فى ٢٠٠٥م عوامل منشطة لكل شركة طاقة فى البلاد، من رسوم مخفضة لشركات استخراج الوقود الحفرى [بترول أو غاز أو فحم] التى تعمل فى أراض فيدرالية، إلى ضمانات قروض للصناعة النووية الموجهة لتوليد الطاقة. وفى محاولة لتمرير هذا المال العام عبر مجلس النواب، قام الجمهوريون برشوة الديمقراطيين بصب أموال فى بعض أوجه الدعم البيئى والتصدق بمزيد من المال باسم كفاءة الطاقة والطاقة البديلة وما إلى ذلك من الكلمات الشفرية التى اعتنقها شارع كيه. فكان هذا مشروع قانون «لا يخلف وراءه نشاط أى جماعة ضغط» حسب تعبير جيرى تايلور بمعهد كاطو.

وهناك المزيد مما يقال عن حركة شارع كيه المحافظة غير محاباة كبار أصحاب الأعمال. فالحزب الجمهورى يعمل على تحويل شارع كيه إلى جزء من آلته السياسية. وظل شارع كيه مكانًا للحزبين حتى أواسط التسعينيات. وسعت شركات الضغط جاهدة لاستخدام كلا من الجمهوريين والديمقراطيين على السواء. واستأثر الديمقراطيون بالأفضل لأن حزبهم كان يسيطر على كابيتول هيل طوال فترة ما بعد الحرب. لكن تغير هذا بسيطرة الجمهوريين فى سنة ١٩٩٤م. فقرر توم ديلاى ـ سوط الجمهوريين آنذاك ـ وجروفر نوركويست أن يدعما هذه الميزة بإطلاق «مشروع شارع كيه». فأوعزا إلى نشطاء جماعات الضغط بأنهم يجب أن يستخدموا المزيد من الجمهوريين وإلا عانوا الإهمال فى مجلس النواب.

وأصبح هناك شبه اتحاد بين جماعات الضغط والحزب الجمهورى. فكان آخر رئيس للحزب، وهو إد جليسپى، من رواد نشطاء الضغط. وكذلك كان هالى باربور حاكم ولاية ميسيسپى. وكافة التعيينات الجديدة فى شارع كيه تقريبًا من الجمهوريين. وفى صباح كل ثلاثاء، يعقد ريك سانتوروم الابن، سيناتور پنسلڤانيا اجتماعًا بأكثر من عشرة من نشطاء الجمهوريين لمناقشة فرص العمل فى شارع كيه. وهذا التضافر يحدث فى وقت يزداد فيه نفوذ نشطاء الضغط. وفى سنة ١٩٦٨م، لم يكن هناك سوى ٦٢ منهم؛ أما الآن فهناك ٢١ ألفًا، ويعملون فى جمع التبرعات لأعضاء الهيئة التشريعية ومحاولة التأثير عليهم.[١١]

يقول نيكولاس كونفيسور إن الحزب الجمهورى يسعى جاهدًا لاستغلال شارع كيه بالصورة التى سبق أن استغل بها فرانكلين روزڤلت الحكومة لصالح الديمقراطيين.[١٢] واستغل الحزب الديمقراطى، فى أيام مجده، نفوذه فى الحكومة للإغداق على الفئات الموالية له (الفقراء والمسنين والأقليات العرقية) ولتوفير فرص العمل لقاعدته الجماهيرية. والآن يستغل الحزب الجمهورى سيطرته على كل من شارع كيه ودوائر الأعمال الأوسع نطاقًا لبناء قطاع خاص موالٍ لآلة روزڤلت. فيمرر التعاقدات الحكومية لأصحاب الأعمال الذين يملأون خزائنه، وانظر إلى ما تجنيه صناعة الدواء من أرباح من أدوية برنامج الرعاية الصحية «ميديكير». ويمد قاعدته الجماهيرية الأكثر ولاء ـ من معاونين برلمانيين إلى برلمانيين ـ بإبريق من ذهب فى شارع كيه حين يتقاعدون.

قد يكون لكل هذا عوائد سياسية وفيرة على المدى القصير. ولكن ماذا عن المدى البعيد؟ تعتمد حيوية الحزب الجمهورى على استعداده للتفكير فى أفكار راديكالية. فكان ريجان رئيسًا ناجحًا لا لأنه كان يحسن إدارة غرفة الاجتماعات، بل لأنه نجح فى تسخير الطاقة الإبداعية لدى العديد من أنصار حرية السوق المثاليين. كما يفترض فى الحزب الجمهورى أنه حزب الحكومة المحدودة والقوانين المخففة. إلا أن نشطاء الضغط لا يزدهرون إلا فى عالم من التطفل الحكومى وصفقات الغرف الخلفية. وهذا يدعم ثانى أسباب القلق الكبرى لدينا من الاتجاه الذى يسير فيه الحزب الجمهورى؛ فالجمهوريون فى عهد چورچ بوش الابن تحولوا من حزب الحكومة المحدودة إلى حزب الحكومة الكبيرة (طالما لا يديرها ديمقراطيون).

حتى المحافظين الذين يأتون إلى مناصبهم عازمين على قطع كتل كبيرة من الحكومة ينتهى بهم الأمر عادةً بحلاقة جزء صغير منها، ولننظر إلى تجربة كل من رونالد ريجان ومارجريت ثاتشر. لكن بوش جاء إلى منصبه ومعه باقة ورد لا فأس. فقال للكونجرس فى ٢٧ فبراير ٢٠٠١م: «للحكومة دور ودور مهم». وفى عبارة مضادة لإعلان بيل كلينتون للمجلس نفسه حين قال: «إن عصر الحكومة الكبيرة ولى وانقضى». وانخرط «چورچ الأحمر» ـ كما يسميه المحافظون ـ حاليًا فى تجربة جديدة لرؤية ما إذا كانت البرامج التى أطلقها الليبراليون من الثلاثينيات إلى السبعينيات يمكن إعادة صوغها فى اتجاه محافظ.

وأوضح مثال على ذلك التعليم. فكان المحافظون يرون منذ مدة طويلة أن الحكومة الفيدرالية يجب أن تنأى بنفسها عن المدارس. وفى سنة ١٩٩٥م، أقام الجمهوريون فى مجلس النواب الدنيا لغلق وزارة التعليم. وفى عهد بيل كلينتون، كان ارتفاع نفقات التعليم متواضعًا: من ٣٠ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٩٣م إلى ٣٦ مليار فى السنة المالية ٢٠٠١م. وفى عهد چورچ بوش الابن شهدت ارتفاعًا مهولاً لتصبح ٥٦ مليارًا فى سنة ٢٠٠٣م، ومن المتوقع أن تبلغ ٧٠ مليارًا فى ٢٠٠٨م. فألقيت على الوزارة مسئوليات مراقبة أداء المدارس فى كافة أنحاء البلاد ثم مخاطبة المدارس سيئة الأداء لتحسين أدائها.

كما أبدى بوش ميلاً ملحوظًا إلى ما قد يسمى «الأبوية الحديثة» ـ استغلال السياسة الاجتماعية لتوجيه سلوك الناس فى الاتجاه المحافظ. والرجل الذى يجسد هذه النزعة هو ويد هورن مسئول الأسرة والطفل بوزارة الصحة والخدمات الإنسانية. وهورن طبيب نفسى للأطفال، وفى أثناء عمله بمستشفى الأطفال فى واشنطن العاصمة واجه أعدادًا كبيرة من الأطفال المتضررين نفسيًا نتيجة غياب الأب، وأطلق «مبادرة الأبوة القومية» لتشجيع الآباء على الاقتراب من أبنائهم. وهو حاليًا يصب مئات الملايين من الدولارات فى برامج لدعم الزواج ـ كتعليم «مهارات بناء العلاقات» لغير المتزوجين ممن ينتظرون طفلاً، و«التدريب على مهارات الزواج» للمتزوجين ممن يرغبون فى تحسين العلاقة الزواجية.

يرى هورن أن عمله «لا يساعد على توسيع الحكومة، بل على تحسين أدائها». فالتفكك الأسرى له دور فى كافة المشكلات الاجتماعية التى تكلف الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة. والحل العملى يتمثل فى السعى للوقاية من هذه المشكلات.

هذا كلام معقول، ولكن الكثير من الخطط التى طورها المهندسون الاجتماعيون الليبراليون فى الستينيات كانت معقولة أيضًا. والحكومة من منظور محافظ هى فى العادة مؤسسة أقرب إلى اليسار. ويقوم البيروقراطيون بتعديل الخطط لتلائم أهدافهم. وكما أن التوسع فى الامتحانات المدرسية سيسمح لوزارة التعليم بفرض نظرياتها على مدارس البلاد، فإن خلفاء هورن قد يتخذون موقفًا أقل فعالية منه. وفى مرحلة ما ستتذمر أمة اليمين من جديد من حجم الدولة وطموحاتها؛ وقد يثور على حزب كلامه قليل لكن حكومته كبيرة.

محافظة(*) الأخ الأكبر

تمثل أحداث ١١ سبتمبر أهم تأثير على مجال الحكومة ورؤيتها. تمخضت عن إدارة بوش الأولى أكبر بيروقراطية حكومية جديدة منذ سنوات ـ وهى وزارة أمن الوطن التى تولاها توم ريدج ـ وأعطت سلطة أكبر كثيرًا لچون أشكروفت المحامى العام

(*) المقصود المذهب أو الفكر، وليس الجزء من الدولة.

الشديد النشاط. وكان هذا يبدو للوهلة الأولى أمراً معقولاً تمامًا. قد يرى البعض أن الحد الفاصل بين الأمن والحرية بحاجة لإعادة تحديد فى ضوء أحداث ١١ سبتمبر. وقد يأسى البعض على أيام مضت، كانت شركات الأمن الخاصة تتولى فيها مسئولية أمن المطارات. فى البداية، حاول بوش منع ريدج من تولى وزارة قائلاً أن ما ينقصه هو خزانة فى البيت الأبيض، إلا أن ريدج إفتقر إلى السلطة اللازمة لتطوير الأمن الداخلى، وبدا أن الشعب الأمريكى يتفهم الحاجة إلى حكومة أكبر حجمًا. وفى تصريح لديك تشينى قال: «من الأشياء التى تغيرت كثيراً منذ ١١ سبتمبر مدى ثقة الناس فى الحكومة - وهو تحول كبير - وتقديرهم قيمتها وتوقعاتهم الكبيرة فيما يمكننا أن نفعله». (١٣)

كل هذا عملى. لكن هذا الموقف يصعب تبريره لا سيما بالنسبة للمحافظين إذا أمعنا النظر فيما استعد له أشكروفت. ومحافظة الحكومة الكبيرة أوجدت توأمًا أقل جاذبية هو محافظة الأخ الأكبر. فرغبة أشكروفت فى التحول إلى رئيس أركان الأخلاقيين أدت به إلى التورط فى كافة أشكال التدخلات التى لا شأن لها بمكافحة الإرهاب. فتعقب المتعاطين «للماريجوانا الطبية» فى كاليفورنيا على الرغم من وجود مبادرة من الولاية تبيح ذلك (وهو ما أيدته المحكمة الدستورية العليا جزئيًا). وجرب حيلاً عديدة لاعتراض قانون المساعدة على الانتحار فى ولاية أوريجون (منها تشجيع «إدارة تراخيص العقاقير» على إلغاء تراخيص الأطباء المشاركين) برغم أن أهالى أوريجون لم يمرروا القانون مرة واحدة بل مرتين وبرغم أن المحكمة الدستورية العليا تركت - صراحةً - رسم السياسات فى هذا المجال للولايات. وحاول مراراً أن يضغط على نواب العموم الفيدراليين المحليين للسعى لتقنين عقوبة الإعدام على الرغم من وجود تراث طويل من الحذر المحلى [فى الولايات] فى حالات الإعدام.

هذا الإجلال الصريح للمركزية يمكن أن يكون له نتائج بعيدة المدى. ومن أسباب ترحيب المحافظين بالفيدرالية أنها تسمح بالتجريب والتنوع فى آن. ومعناها - حسب تعبير القاضى لويس براندیز فى سنة ١٩٣٢م - «أن ولاية واحدة تتوفر لها الشجاعة الكافية يمكن أن تتحول إلى معمل إذا اختار مواطنوها ذلك، وتمر بتجارب اجتماعية واقتصادية جديدة دون تعريض بقية البلاد لأى خطر». (١٤) ومعناها أيضًا أن أى بلد

كبير متنوع السكان يمكن أن يجرب مواقف متباينة عديدة من القضايا الأخلاقية. فالناس فى ريف نبراسكا يستطيعون أن يقننوا رقصة اللعق ـ لو شاءوا ـ بطريقة تختلف عن أهالى سان فرانسيسكو؛ ويمكن لولاية ڤيرمونت أن تثبت تفردها بإباحة زواج الشواذ وفرض سيطرة محكمة على العرى على شبكة الإنترنت فى آن. وفى التسعينيات كان الحزب الجمهورى يدين بالنجاح الكبير الذى حققه ـ من إصلاح إعانة البطالة إلى نظام صكوك (كوبونات) المدارس ـ لحماسه للفيدرالية.

ومن هذا المنظور، كان تحول أشكروفت إلى داعية للمركزية يتسم بالنفاق والغباء فى آن. النفاق لأن أشكروفت كان فيما سبق من كبار نقاد التمدد الحكومى، فحين كان فى منصب المحامى العام ثم نائب بمجلس الشيوخ عن ولاية ميزورى، قاوم أمرًا فيدراليًا بإلغاء التفرقة العنصرية فى مدارس سانت لويس لدرجة أن مجلة Southern Partisan خصته بالثناء. والغباء لأن أشكروفت الإيڤانجليكى الذى يعاف التدخين ومعاقرة الخمر والرقص والنظر للتماثيل العارية يمثل أقلية فى حزبه ناهيك عن البلاد على اتساعها. وأفضل ما يتطلع إليه هو أن يعيش ويدع غيره يعيش، وهو مبدأ يفسح المجال لأقلية مثله أن تزدهر. وقد يندم أشكروفت على موقفه من حكومة الأخ الأكبر فى المرة القادمة حين يتولى أحد الديمقراطيين منصبه.

الأسر الجنوبى؟

إن محافظة الأخ الأكبر لدى أشكروفت طريقة جيدة لتقديم ما قد يمثل أكبر خطر يتهدد الجمهوريين، وهو اتخاذ صورة الحزب المتعصب. بالمجازفة باتخاذ صورة كاريكاتورية لمنطقة الجنوب التى تمثل ثلث الاتحاد، والمجدولة بالتعصب. فكسب الجنوب بالنسبة لحزب لينكولن يعد إنجازًا انتخابيًا كبيرًا، ولكن كان له ثمنه. فهناك خوف من يؤدى وجود جناح جنوبى مهيمن إلى جر الحزب الجمهورى إلى حافة التطرف كما جر جناح ماكجڤرن الديمقراطيين إلى أقصى اليسار فى السبعينيات.

والتطرف الجنوبى له شكلان هما العرق والدين. وسياسة العرق تتسم بقدر خاص من التعقيد. وربما كان طرد لوت بالنسبة لكل من بوش وروف له صلة بالفوز بأصوات السود أقل من صلته بالاحتفاظ بأصوات البيض المعتدلين. وليس معنى ذلك إنكار

وجود كثرة من الناخبين المستقلين (من كافة الألوان) ممن انتقلوا للسكن بالضواحى فرارًا من أشياء ارتبطت بزنوج أمريكا سواء بالحق أو بالباطل، كالجريمة وارتفاع الضرائب والميل لاختيار العمد المرعبين (ليس هناك من فعل بأثمان العقارات فى مارى لاند وڤيرچينيا ما فعل ماريون بارى عمدة واشنطن العاصمة من ١٩٧٨ إلى ١٩٩٠م، ثم مرة أخرى ـ بعد أن قضى عقوبة بالسجن لحيازته كوكايين ـ من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨م). من ثم فمخزون حسن النية تجاه زنوج أمريكا له حدود، إلا أن الكثير تغير منذ أن بث چورچ بوش الابن إعلان ويلى هورتن فى سنة ١٩٨٨م بل منذ ظهور فيلم «خمن من القادم على العشاء» فى سنة ١٩٦٧م. والمدارس والكنائس والنوادى الريفية الأذكى تضم وجوهًا سوداء وبنية. يخشى المحترمون تهمة العنصرية قدر ما كانوا يخشون الاتهام بالتحلل الخلقى. وهذه مشكلة بالنسبة لحزب له جذوره الراسخة فى الجنوب. وتشير كارلن بومان من «معهد الأعمال الأمريكى» إلى أن نسبة من يؤيدون الزواج المختلط بين البيض وغير البيض لا تزيد عن ٥٩ ٪ فى الجنوب؛ فى حين أن ٧٥ ٪ من غير الجنوبيين يؤيدونه. ولو استمرت قصة ترنت لوت فربما ما كانت لتكلف الجمهوريين الكثير من الأصوات فى ولاية ميسيسيپى، ولكنها كانت ستكلفه أصواتًا فى لونج آيلاند وفى دنڤر.

ومما يحسب للحزب الجمهورى أن حزب چورچ بوش الابن الجمهورى يختلف تمامًا عنه حين انضم إليه ترنت لوت. فأكثر أعضاء الحزب شبهة وهما ستروم ثورموند وچيسى هيلمز فارقا عالم الأحياء ومجلس الشيوخ على التوالى. وفى الجنوب لا شك أن الحزب الجمهورى يضم بعضًا من الطيبين الذين يريدون الإبقاء على السود فى أماكنهم. ولكنه حزب «الجنوب الجديد» أيضًا ـ جنوب المستثمرين والمهنيين وسكان الضواحى. وبيل فريست زعيم الأغلبية الجديد، قادم من الجناح الذى ينظر للأمام من الحزب. وما من زنجى تولى مثل هذا المنصب الرفيع الذى تولاه كولن پاول فى تاريخ أمريكا، وليس هناك من كان له ذلك التأثير اليومى على رئيس البلاد كتأثير كوندوليزا رايس. وكانت أولى حكومات بوش تضم زنجيين وثلاث نساء ولاتينى وأمريكيان من أصل آسيوى وستة رجال من البيض. فى حين أن حكومة بوش الأب فى سنة ١٩٨٩م كانت تضم عشرة رجال بيض ولاتينيين وامرأة واحدة وزنجى واحد.

ومع ذلك فإذا كان الجمهوريون يحسنون سمعتهم فيما يتعلق بالعرق، فمن غير الواضح ما إذا كانوا يستطيعون السيطرة على جناحهم الدينى. فمواقف الجمهوريين من العديد من القضايا الاجتماعية كما رأينا جذب إليهم جيشًا من مسيحيى الجنوب. لكن أمة الجنوب محافظون ثقافيًا. وهناك ٤٤٪ من الأسر فى الجنوب يحتفظون بسلاح نارى فى بيوتهم فى مقابل متوسط قومى قدره ٣٥٪ وما لا يزيد عن ٢٦٪ فى الشمال الشرقى.[١٥] و٤١٪ من أمة الجنوب يواظبون على الذهاب إلى الكنائس مرة واحدة أسبوعيًا على الأقل، فى مقابل ٣٣٪ عند غير أمة الجنوب. و٦٥٪ من أمة الجنوب يقولون إنهم مروا بتجربة دينية غيرت مسار حياتهم فى مقابل ٤٨٪ عند غيرهم. وهناك واحد من كل أربعة من أمة الجنوب يريد إعادة «منع الخمور - prohibtion».[١٦] البيوريتانية(*) ليس سمة عامة فى الإقليم. فكل من نيو أورليانز وممفس وناشفيل لها نصيب وافر من فتيات الحانات الرخيصة؛[١٧] ففى جولة لنا فى مقاطعة كاچن فى سنة ٢٠٠٣م رأى أحدنا لافتة بإعلان عن «وصول شحنة جديدة من الفتيات أمس». إلا أن أمة الجنوب بصفة عامة لهم آراء صارمة فى الجنس، وانجذب معظم المحافظين ثقافيًا من أمة الجنوب إلى الحزب الجمهورى حيث أفلحوا فى وضع القضايا الاجتماعية كالإجهاض والصلاة فى المدارس فى قلب سياسة الجمهوريين. والجناح الجنوبى من الحزب هو الذى علا صوته بتجريح بيل كلينتون. والجناح الجنوبى من الحزب هو الذى يناصل حاليًا لإعادة الدين إلى المدارس ومنع زواج الشواذ.

معظم الأمريكيين قد يشاركون فى هذه الآراء ولكنهم يتخذون موقفًا أقل حدة. قد يفضلون ألا يكون أبناؤهم شواذ، ولكنهم يرفضون أية محاولة لاضطهاد الشواذ. هم يمقتون الإجهاض، ولكنهم لا يريدون إقرار حظر تفرضه الحكومة على حرية المرأة فى الاختيار. يعتقدون أن التعليم لا بد أن يقوم على الأخلاق، ويعجبون بالزعماء الدينيين، ولكنهم يرفضون فرض التدين على الناس. يؤمنون بأن سلوك بيل كلينتون كان مشينًا، ولكنهم انفضوا عن فريق المتزمتين ممن انبروا لتجريحه.

وأخلاقية الجناح الجنوبى العدوانية لا تخيف المستقلين وحدهم؛ بل تقصى الجمهوريين الآخرين أيضًا. ولعل أكثر من يروعهم هذا الموقف هم أمريكيى النوادى

(*) البيوريتانية: التطهرية، وهم طائفة من البروتستانت الإنجليز، انشقوا عن كنيسة إنجلترا وهاجروا لأمريكا فى مطلع القرن السابع عشر ليعبدوا الله بالطريقة الصحيحة كما يرونها.

الريفية بالشمال الشرقى، اليانكى. (إذا استبعدنا الخمر والزنا لا يتبقى هناك الكثير مما يمكن أن يفعله سماسرة الأسهم فى كونيتيكت.) إلا أن تأثير اليمين الدينى أفقد الحزب الجمهورى عددًا من المقاعد المضمونة فى الغرب الأوسط والسهول الغرب. وكمثال على ذلك، فى سنة ١٩٩٦م، فاز ڤينس سنوبارجر الجمهورى المحافظ الذى يحظى بتأييد التحالف المسيحى بالدائرة النيابية الثالثة فى كانساس. وعندما هم بتأييد تدريس نظرية الخلق فى المدارس العامة بالولاية، خسر مقعده لأحد الديمقراطيين فى سنة ١٩٩٨م.[١٨]

الحاكم

إن مشكلة الجنوب بالنسبة للجمهوريين هى فى جوهرها مشكلة توازنات. فهيمنة الجناح الجنوبى تمنع الحزب الجمهورى من تقديم نفسه كحزب قومى للجميع. والثقل الموازن المفقود هو الغرب الأمريكى وكاليفورنيا على وجه الخصوص. ففى عهد كل من نيكسون وريجان كان «حزام الشمس» محكمًا تمامًا، وكانت أخلاقية الجنوب تقابلها فردية أكثر استرخاء فى الغرب. ولكن كما سبق أن رأينا فى الفصل الرابع، تفكك «حزام الشمس» عندما فقد الجمهوريون كاليفورنيا ـ بفضل العملية الانتحارية بإضفاء إضفاء الصبغة الجنوبية على حزب الولاية. والآن عاد الأمل فى صورة غريبة تمثلت فى إنسان نصف آلى سابق ذى لكنة نمساوية [شوارزينجر].

ولفهم مدى أهمية انتخاب أرنولد شوارزينجر لمنصب حاكم كاليفورنيا فى أكتوبر ٢٠٠٢م بالنسبة للجمهوريين، لا بد من وصف حدث آخر فى الولاية فى سنة سابقة. زارأحدنا زار مؤتمر الجمهوريين فى أناهايم، كاليفورنيا، قبيل تغطية مؤتمر يوم قيامة آخر فى بورنماوث بإنجلترا لتغطية مؤتمر حزب المحافظين البريطانى. كان المحافظون [الإنجليز] آنذاك فى أدنى حالاتهم: مجموعة كئيبة من ذكريات الماضى منكبة على موضوعات كجبل طارق وصيد الثعالب. ولكن من حيث الاختلال الوظيفى، فإن أكثر أحزاب يمين الوسط انتحارية فى أوروبا لم يكن لديه شيئًا مما لدى جمهوريى كاليفورنيا. ربما كان موفدو المحافظين جميعًا على مشارف السبعين من العمر، إلا أن الحزب على الأقل بذل جهدًا لدفع الشباب وغير البيض إلى الحلبة. فى حين أن

جمهوريى كاليفورنيا فى سنة ٢٠٠٢م تحاشوا ذلك النوع من التعددية الثقافية الذى أفاد چورچ بوش الابن كثيراً فى فيلادلفيا، ظنًا منهم أن وصول مرشحهم لمنصب الحاكم بيل سايمون كان كافيًا لإثبات التنوع فى صفوفهم. والاقتصار على العجائز البيض فى منصة القيادة قد لا يزال يصلح فى ألاباما؛ أما فى أناهايم حيث تتقد بوتقة الانصهار من شدة الغليان فهو أمر أشبه بالانتحار. وفى الجزء الخلفى من القاعة، أقر شاب أسود ينافس على عضوية مجلس الولاية من جنوب لوس أنچيليس بأنه لم يتلق أى دعم من الحزب. وبعيدًا عن الأنظار كان يبدو أن رجال چورچ بوش الابن تجاوزوا مرحلة التباكى وبدأوا يتحدثون بالفعل عن انتخابات مجلس الشيوخ لسنة ٢٠٠٤م.

هذا اليأس كان له ما يبرره. ففى سنة ٢٠٠٢م بدا الحاكم الديمقراطى جراى داڤيز ناضجًا للطرد بسبب الاقتصاد المترنح وأزمة الكهرباء وعجز الموازنة الوشيك. وكان كارل روف قد حث حزب الولاية على اختيار ريتشارد ريوردان عمدة لوس أنچيليس السابق المعتدل الذى تفوق على داڤيز فى الاستطلاعات. إلا أن المحافظين الاجتماعيين احتشدوا وراء سايمون وهو رجل أعمال ثرى قليل الخبرة السياسية، مؤهله الأول أنه يناهض الإجهاض. ولكى يربكهم أكثر، نشر داڤيز إعلانات فى انتخابات الجمهوريين التمهيدية تشكك فى سجل ريوردان عن الإجهاض. وقد تظن أن إيثار داڤيز الواضح لسايمون ألمح لجمهوريى كاليفورنيا بأن هناك شيئًا خطأ. ولكن لا، إذ فاز سايمون بانتخابات الحزب الجمهورى التمهيدية بثمانى عشرة نقطة، ثم خسر الانتخابات العامة لواحد من أقل الحكام شعبية فى تاريخ الولاية.

كان مسار الجمهوريين نحو العودة إلى السلطة فى ٢٠٠٣م غريبًا لدرجة تجعل من الصعب ادعاء وجود أية دروس تستفاد منه. وباستعادة الأحداث الماضية نجد أن كل ما له صلة بإعادة التصويت، كان ينحرف فى صالح شوارزينجر. تبدأ القائمة بأن آلية إعادة التصويت تتطلب أن يكون داڤيز ارتكب جريمة، ولم يكن داڤيز أقدم على شىء جنائى بشكل واضح. وكان تقسيم ورقة الاقتراع إلى جزءين غريبًا أيضًا: ولكى يبقى فى منصبه كان على داڤيز أن يقنع نصف الناخبين بمساندته فى الجزء الأول من ورقة الاقتراع، ولكن لو فشل فإن من يحصل على أغلبية الأصوات فى الجزء الآخر من ورقة الاقتراع يفوز. وكانت هناك قائمة مهولة تضم ١٣٥ مرشحًا بينهم ديمقراطى واحد هو

كروز بوستامانتى نائب الحاكم داڤيز. وساعدت الحملة المكبوحة على وقاية شوارزينجر من التحليل المفصل لحياته (اعترف بغرامياته مع النساء)، والأهم أنها حالت دون انتخابات تمهيدية جمهورية كان شوارزينجر سيصطدم فيها بالمحافظين الاجتماعيين كما فعل ريوردان.

ولكن حتى حين نأخذ هذه الغرائب فى الحسبان، فإن فوز شوارزينجر يظل مثيراً للإعجاب. إذ فاز بـ ٤٨ ٪ من الأصوات فى مقابل ٣٢ ٪ لبوستامانتى و١٣ ٪ لتوم مكلينتوك الجمهورى العنيد. وأربك الممثل حتى نقاد نظام التذكير بفوزه بأصوات أكثر من دافيز الذى لم يحصل إلا على ٤٥ ٪ فى القسم الأول من ورقة الاقتراع. كما أن شوارزينجر خاض الانتخابات كجمهورى من الغرب؛ فكان ضد التمدد الحكومى إلا أن فكره عن الحرية كان يشمل حياة الناس الشخصية. وبمجرد تأييده خيار الإجهاض، أزال الممثل من السباق السلاح الذى أجهز به داڤيز على منافسيه السابقين. ففى الانتخابات السابقة، تخلت نساء الضواحى عن قضية الجمهوريين، ولكن على الرغم من ماضيه، فاز شوارزينجر على بوستامانتى فى أصوات النساء (٤٣ فى مقابل ٣٦ ٪). وفى سنة ٢٠٠٣م، كان ديمقراطيو كاليفورنيا هم الذين بدأوا يتخذون صورة الجانب المتطرف. فمثلاً فى محاولة أخيرة لجذب أصوات اللاتين، صدق داڤيز على مشروع قانون يسمح للمهاجرين غير الشرعيين باستخراج رخص القيادة، وهو شىء رفضه قبل ذلك بسنة. واعترض شوارزينجر على ذلك موضحًا أن اعتراضه مبنى على أسباب تتعلق بالأمن القومى لا الانتخابات. وفى مقاطعة لوس أنچيليس أكبر مقاطعة حضرية فى أمريكا، فاز شوارزينجر على بوستامانتى بـ ٤٥ ٪ فى مقابل ٣٧ ٪: وهو رقم كبير فى مقاطعة هزم فيها داڤيز بيل سايمون بـ ٥٠ ٪ فى مقابل ٣٥ ٪ قبل ذلك بأحد عشر شهرًا.

لا شىء من كل هذا كان يعنى أن شوارزينجر سيغير سياسة كاليفورنيا بشكل دائم. كانت بدايته طيبة، لكن ولايته كحاكم يمكن أن تغوص فى المزيد من المزاعم حول ماضيه النسائى وفى جدل ساخن عن الموازنة. وإذا اضطر شوارزينجر لرفع الضرائب فإن هذا سيثير حفيظة جناح يمينى مشمئز أصلاً من آرائه الاجتماعية. ولكنه لا يستطيع أن يخفض الخدمات دون الاستغناء عن العديد من الناخبين العاديين. كما أن تحويل

جمهوريى كاليفورنيا إلى جنوبيين يحتاج إلى ما هو أكثر من شوارزينجر. وأدت عملية إعادة تقسيم الدوائر فى سنة ٢٠٠١م والتى أدارها الديمقراطيون نحتت أقلية للمقاعد الجمهورية الثقيلة، ملأها المحافظون الاجتماعيون ممن لا حاجة لهم إلى جذب ناخبين مستقلين.

على أى حال، فوجود جمهورى معتدل شهير كهذا لا بد أن يكون له تأثير على الحزب الجمهورى على المستوى القومى. وحقق شوارزينجر نصرًا كبيرًا فى مؤتمر ٢٠٠٤م ليثبت أن الحزب عبارة عن كنيسة كبيرة؛ وقد يقود حملة لتغيير خط الحزب المناهض للإجهاض كما فعل مدير حملته بيت ويلسون فى مؤتمر ١٩٩٦م. وسيشير الجمهوريون المعتدلون إلى أن عقيدتهم لها جاذبيتها على المستوى القومى؛ فهناك عمدة جمهورى فى مدينة نيويورك وحكام جمهوريون فى أكثر ثلاثة معاقل للحزب الديمقراطى هى ولاية نيويورك وماساشوستس وماري لاند.

تغذية العوام

يثير شوارزينجر الجدل حول تضبيط العوام. فالخط الفاصل بين الغوغاء المتناقضين والتحالف الحاكم الكبير خط ضيق. والتحدى الذى يواجهه الحزب الجمهورى هو أن يقدم نفسه كحزب ذى توجهين مختلفين: حزب المحافظين الاجتماعيين والتحررين فى آن، حزب الرب وشيطان الثروة فى آن، حزب قلب البلاد وول ستريت فى آن، حزب أرنولد شوارزينجر وترنت لوت معًا.

هناك شيئان يمنحان الجمهوريين بعض الثقة فى ذلك. أولهما أن حزبهم أبدى فى الآونة الأخيرة موهبة كبيرة فى استرضاء أناس مختلفين بأشياء مختلفة. فهو حزب الضواحى الواعدة فى شوجرلاند بولاية تكساس أو فى مقاطعة كوب بولاية چورچيا. فالأسر التى تقطنهما تفصلها عن مشكلات أمريكا المتشعبة حواجز أقوى تأثيرًا من الفصل المقنن، منها بعد المسافة ولوائح المنطقة وأثمان العقارات. والجمهوريون يرمزون إلى إبقاء الوضع فيهما كما هو. أما فى غرب ڤيرچينيا، فجاذبية الحزب لا تكمن فى التفاؤل، بل فى القلق. فالجمهوريون يلعبون على مخاوف عمال المناجم والصلب ممن

تتهددهم العولمة، ويصورون الأجانب كشياطين تقتات على حياة العمال، ومنهم منتجو هولى وود الذين يقوضون دعائم الدين، ومشرعو الأسلحة النارية الذين يهددون بحظر الصيد البرى ومنع الناس من الدفاع عن أنفسهم، والبيئيون الليبراليون الذين يريدون محو صناعة الفحم والصلب من الوجود.

هذه القدرة على الجمع بين أشياء عديدة لكافة فئات الناس لا تتغير بالجغرافيا وحدها. وأبدى الحزب الجمهورى قدرة فائقة على التجدد. ففى التسعينيات، كان حزب التمرد على الحكومة. وفى انتخابات ٢٠٠٠م، جدد نفسه ليصبح حزب المحافظة الرحيمة. وفى ٢٠٠٢م تحول من جديد غداة أحداث ١١ سبتمبر إلى حزب الدفاع القومى والعظمة الوطنية.

يصل بنا ذلك إلى السبب الثانى لتفاؤل الجمهوريين. فمفتاح توجيه العوام أن تعثر لهم على شىء تفكر فى قتله، غير من يفترض أنهم يقودونهم(*). والحزب الجمهورى لديه الآن شىء. يمكن لكل الأحزاب أن تظل مترابطة لو توفر شىء كبير بما يكفى لأن تكرهه. وكان الصمغ الذى أبقى على تماسك اليمين طوال فترة ما بعد الحرب العداء للشيوعية.[١٩] وكان المحافظون يبغضون الشيوعية لأسباب شتى؛ أنصار حرية السوق لأنها تعادى الرأسمالية، والمحافظون الدينيون لأنها تعادى الرب، والمحافظون من الاتجاه السائد لأنها تعادى أمريكا، فكانوا جميعًا يمقتونها. وكانوا يؤيدون بناء دفاعات أمريكا واسترداد ما كسبته الشيوعية فى الخارج. وكان العداء للشيوعية يسمح لحركة المحافظين بأن تلف نفسها بالعلَم. وليس من قبيل المصادفة أن كانت حركة المحافظين فى أوجها بعد سقوط حائط برلين.

أمدت أحداث ١١ سبتمبر بوش الابن بقضية يدافع عنها ولو بمجازفة أن يبدو مستخفًا بفظاعة العمل الذى أودى بحياة ثلاثة آلاف شخص. فوحدت الحرب على الإرهاب صفوف كافة المحافظين (باستثناء جماعة الانعزاليين) وراء كفاح عالمى كبير

(*) أى إيجاد عدو عليهم قتله، كان ذلك الشيوعيين والاتحاد السوفييتى فى الحرب الباردة، والآن هو الإرهاب، أو التيار الإسلامى المتطرف، أو الملتزم عند البعض.

ضد قوى الظلام ووضعت الوطنية فى قلب السياسة. وفاز قرار اللجوء للقوة فى العراق بتأييد ٤٨ من مجموع ٤٩ جمهورى فى مجلس الشيوخ؛ وفى مجلس النواب كان الهامش ٢١٥ إلى ٦. وكانت الحرب على الإرهاب هى التى أوجدت الفارق بين الرابطة الانتخابية فى سنة ٢٠٠٠م وانتصارات المحافظين فى ٢٠٠٢ و٢٠٠٤م. واحتفظ الحزب الديمقراطى بتفوقه الشعبى فى مجالى الضرائب والضمان الاجتماعى على الحزب الجمهورى فى سنة ٢٠٠٢م فى رأى المستطلع الديمقراطى ستانلى جرينبرج. إلا أن الجمهوريين كانوا يتمتعون بميزة قدرها أربعون نقطة (٥٩ ٪ إلى ١٩٪) على الديمقراطيين حول سؤال عن أى الحزبين أفضل فى المحافظة على أمريكا قوية. ففى ٢٠٠٤م، فاز بوش بخمس الناخبين ممن يرون أن الإرهاب أهم قضية بنسبة ٨٦ ٪ فى مقابل ١٤ ٪ لجون كيرى(*). وكان المؤتمر القومى للحزب الجمهورى فى نيويورك مثالاً فى إدارة المنصة، بينما أخذ الجمهوريون بكل توجهاتهم (ومنهم چون ماكين وأرنولد شوارزينجر) يروجون رسالة فحواها أن الأمن القومى القضية الأولى وأن الحرب فى العراق جزء من الحرب على الإرهاب.

وطالما ظل الإرهاب خطرًا يهدد الولايات المتحدة ـ وليس هناك ما يدل على اختفاء القاعدة فى المستقبل القريب ـ سيظل الجمهوريون الحزب الأقوى على الإرهاب وبالتالى سيظلون يتمتعون بميزة كبرى هى منحهم شيئًا يلتفون حوله.

* * *

(*) فى تحليل لأصوات الناخبين نشرته نيوزويك فى منتصف نوفمبر ٢٠٠٤م، أفاد ٢٢٪ من الناخبين أن القيم هى شاغلهم الأول، وإفاد ٢٠٪ أن القضاء على الإرهاب هو شاغلهم الأول، وفى هاتين الشريحتين، اكتسح بوش بنسبة عالية (٨٠٪ تقريبًا) منافسه چون كيرى.

الفصل الحادى عشر

خلف خطوط العدو

منذ بضع سنوات، كتب وودى آلن وأخرج فيلمًا هزليًا موسيقيًا باسم «كل شىء يقول أحبك». وكان أحد شخصيات الفيلم الشابة يعانى داءً عضالاً هو المحافظة الإجبارية. فهو لا يستطيع مقاومة إغراء مضايقة والديه الليبراليين بتعمده مطالعة مجلة «ناشيونال ريفيو» والدفاع عن «الفكر الذكورى الحديث»من قبيل «أمريكا القوية والحق فى حمل السلاح». ويقول بعد بداية الفيلم: «دولة الرفاهية لا تجدى نفعًا. إنها ثمرة الخيال الليبرالى الذى فات أوانه، مثل حظر الصلاة فى المدارس وتدليل المجرمين». ومع ذلك فكل شىء ينتهى نهاية سعيدة، إذ يكتشف الوالدان أن ابنهما يعانى ورمًا يمنع الأوكسچين عن المخ. وفى النهاية يتحلل الورم وسرعان ما يهجر الولد «نادى الجمهوريين الشبان» ويشرع فى نصرة الفكر الليبرالى اليسارى.

فى أيامنا هذه، يزداد عدد الشباب الأمريكى الذى يعانى نقصًا فى الأوكسچين الواصل إلى المخ. وتضاعفت عضوية «الجمهوريين الجامعيين» ثلاثة أمثالها فى السنوات الثلاث الأخيرة، فزادت أفرعها من ٤٠٩ إلى ١١٤٨ وانضم إليها اثنان وعشرون ألف عضو جديد فى سنة ٢٠٠٢م وحدها، وتضم حاليًا مائة ألف عضو. والشباب ليسوا «الليبراليون الطبيعيون» الوحيدين الذين يسقطون ضحية داء المحافظة الغريب. فهناك شواذ محافظون معروفون وهناك لاتين محافظون، وبيئيون محافظون، وممثلون محافظون وصحافيون محافظون فى صحيفة نيويورك تايمز

(اثنان). انظر أينما شئت فى «أمريكا الليبرالية» وستجد قاعدة جماهيرية محافظة فى الأعماق خلف خطوط العدو.

هذه القاعدة الجماهيرية سلالة قوية، معزولة داخل أوساط معادية ويتعرض أفرادها للسخرية من أقرانهم دومًا. لكنهم عنصر حيوى بالنسبة لحركة المحافظين الأشمل ـ فهم نماذج حية لرفض استهزاء الليبراليين بالمحافظين كمجرد حفنة من الرجال البيض الأغبياء. ومن أفضل تفسيرًا للضرر الذى يصيب زنوج أمريكا من جراء التفكك الأسرى من زنجى أسود؟ ومن أصدق فى ريادة الزهد الجنسى من طالبة محافظة جميلة؟ فالمحافظون القابعون خلف خطوط العدو، على الأقل يجبرون الديمقراطيين على توجيه الموارد للدفاع عن الأرض التى يودون أن يتمكنوا من التسليم بأنها لهم؛ وعلى أحسن الفروض يعدون العدة لتحرير كتل ضخمة من السكان من وطأة احتلال العدو. وقررنا أن نركز على ثلاث فئات: السود لأنهم يشكلون خطرًا على ادعاء الحزب الديمقراطى التفوق الأخلاقى؛ والشباب لأنهم يضفون طاقة كبرى على حركة المحافظين؛ والمرأة لأنها تمثل أكثر من نصف السكان.

لون أكثر بياضًا للشحوب

على الرغم من الامتيازات التى منحها جورج بوش الابن لتعدد الثقافات، بدءًا من استخدامه كولن باول وكوندوليزا رايس إلى طرده ترنت لوت، فإن الجمهوريين لديهم مشكلة مع السود. ففى سنة ١٩٦٠م، صوت ثلث الناخبين السود لصالح ريتشارد نيكسون.[١] وفى ٢٠٠٤م صوت واحد من كل عشرة من السود الذين ازدادوا ثراءً لصالح بوش. وأدى تقاعد چى. سى. واتس فى سنة ٢٠٠٢م إلى حرمان الحزب الجمهورى من الوجه الزنجى الوحيد الذى ينتمى إليه فى كابيتول هيل. ومع ذلك فهناك محافظون سود فى كافة أنحاء أمريكا.

ولعل أكثرهم تأثيرًا فئة صغيرة من المثقفين السود، وأشهرهم المفترى عليه كلارنس توماس قاضى المحكمة الدستورية العليا، وشيلبى ستيل، وهو أحد المفسرين المعارضين للعمل الإيجابى، وتوماس سوويل الأثير لدى الحركة منذ أن نشر «العرق

والاقتصاد ـ Race and Economics» فى سنة ١٩٧٥م، والذى قال فيه إنه نظرًا لأن التمييز العرقى غير عقلانى اقتصاديًا، فإن أفضل طريقة لمكافحته زيادة التنافسية لا التقنين الحكومى. وهناك شبه كبير بين العديد من هؤلاء المثقفين المحافظين السود والجيل الأول من المحافظين الجدد، أى تلك الأنماط العقلية ممن بدأوا حياتهم كديمقراطيين ثم انفصلوا عن حزبهم بسبب قضايا مثل سياسة الهوية والميول العرقية. وهم كالمحافظين الجدد، يعادون المحافظين القدامى من أمثال بات بوكانن؛ ويتحلقون فى مراكز الفكر كالمحافظين الجدد.

ومما يذكر أن المحافظ الأسود الوحيد الذى خاض انتخابات الرئاسة كان من المثقفين. ولعل أبرز ما ميز خوض ألان كيز انتخابات الرئاسة فى سنة ٢٠٠٠م، الحماس الذى ألقى به نفسه فى «حلبة الرقص الزنجى» وراح يتمايل على موسيقى أغنية «Rage Against the Machine». إلا أن كيز كان ـ على الورق على الأقل ـ أنبه ستة مرشحين جمهوريين للرئاسة؛ حيث أنه حاصل على درجة الدكتوراه فى النظرية السياسية من جامعة هارڤارد (حيث درس مع الإشتراوسى النابه هارڤى مانسفيلد، وأقام فى سكن واحد مع «بيل كريستول». وهو يعتبر الفترة التى قضاها فى دراسة النظرية السياسية مع ألان بلوم تجربة غيرت مجرى حياته، ويمكن التعرف على روح مؤلف كتاب «غلق العقل الأمريكى ـ Closing of the American Mind» فى كل ما يقول كيز. وكثير من الساسة يحبون أن يطرحوا تساؤلات تجريدية حول مشكلات واقعية. ولا يستطيع كيز أن يسمع عن مشكلة واقعية دون أن يفكر فى مغزاها التجريدى.

هذه النزعة العقلية المفرطة، تنير الطريق أحيانًا، وغريبة الأطوار تمامًا فى أحيان أخرى. ويعد كيز من أكبر معارضى الإجهاض (يضع فى عروة سترته دبوسًا على شكل قدم جنين عمره عشرة أسابيع)، إلا أنه يقيم دعواه لا على أساس الكتاب المقدس وحده بل على أساس «إعلان الاستقلال» ويقول إننا يجب أن نطبق الإعلان على الأطفال الذين لم يولدوا بالطريقة نفسها التى طبقه بها البيض على العبيد. كما يدعو إلى الإلغاء الكامل لضريبة دخل «العبيد»، ويقول إن فصل الدين عن الدولة لا أساس له فى الدستور. وفى بعض الأحيان، نجد كيز يُذكّرنا ببعض غرائب محافظى

الخمسينيات. وأبلى بلاء حسنًا بطريقة مدهشة فى المراحل الأولى من انتخابات الجمهوريين التمهيدية فى سنة ٢٠٠٠م، واجتذب أربعة آلاف متطوع، وهزم نائبى مجلس شيوخ فى مؤتمرات الحزب بولاية آيوا. وهو ليس بالشخصية التى يسهل التوافق معها. فإن طرحتَ عليه سؤالاً سخيفًا عن نوع الحلوى الذى يفضل، فقد يتهمك بالإفلاس الخُلُقى والفكرى قبل أن يجيبك بأنه يفضل فطير التفاح ذا القشرة الهشة. وإن امتدحتَ لسانه الفضى فقد يتهمك بالعنصرية. وقد يقسو كيز حتى على أنصاره. ففى أحد تجمعاته الانتخابية، أمر أنصاره بالكف عن التصفيق وزعق قائلاً: «رأيتُ ذلك من قبل. فالناس يقفون ويصفقون لأشياء ويقولون إنهم يؤمنون بها، ثم يخرجون ويلقون بأصواتهم بطرق لا يعلمها إلا الله». (٢)

وكيز ككثير من المثقفين المحافظين السود لا يخلو من تناقضات، فهو من الكاثوليك الروم، ويستمد كثيرًا من تأييده من الإيڤانجليكيين باعتباره معارضًا للمؤسسات متعددة الأطراف، ويعطى أهمية كبيرة لمناداته بلقب «سفير» الذى اكتسبه من خلال عمله فى اليونسكو، وهو محافظ يلعب بورقة العرق وبحماس يفوق حتى حماس چيسى چاكسون. وفى المناظرة الأولية فى ديسمبر ١٩٩٩م، خاطب چورچ بوش الابن بعبارة «ماسا بوش» استهزاءً من «خجله» فى مجال الضرائب. وعندما أثنى المذيع فى برنامج حوارى على بلاغته، شبه عبارة المجاملة بقول أحدهم «إنه يرقص بشكل جيد فعلاً!».

إن كيز شخصية فريدة. إلا أن السمات التى يجسدها ربما كانت مؤهلات نفسية ضرورية لمسار مهنى قضاه صاحبه فى العمل فى وسط معاد. وقليل من الساسة الأمريكيين الذى يتعرض لكم السخرية الذى يتعرض له المحافظون الزنوج. وزنوج التيار السائد يعتبرونهم فى العادة خونة. فأدان بنيامين هوكس الرئيس الأسبق لـ «الاتحاد القومى لتطوير الملونين» المحافظين الزنوج باعتبارهم «سلالة جديدة من العم توم . . . بعض من أكبر الكذابين فى الدنيا». وكان چيسى چاكسون يشبه كلارنس توماس بأعضاء جماعة «كو كلوكس كلان» العنصرية («أعداء الحقوق المدنية يضربون ضربتهم ليلاً وهم ملفوفون فى ملاءات بيضاء ويحرقون الصلبان . . . ويوجهون ضربتهم نهارًا بثياب سوداء»). بل إن چوليان مالڤو وهى صحفية زنجية، تمنت الموت لتوماس على يد زوجته البيضاء. ولا غرو أن يصبح المحافظون الزنوج سريعى الغضب

بعض الشيء. ولا غرابة في أن يتناول بعض من أفضل كتاباتهم (لا سيما كتابات شيلبي ستيل) موضوع العزلة في عالم يشجع التضامن الاجتماعي.

هناك قضيتان تتبناهما حركة المحافظين الزنوج، هما إلغاء العمل الإيجابي وتطبيق نظام صكوك (كوبونات) المدارس. وأكبر أنصار القضية الأولى وارد كونرلي، وهو رجل أعمال زنجي من ساكرامنتو بولاية كاليفورنيا ومدير «معهد الحقوق المدنية الأمريكي». كان «عبد البيت» هذا كما يسميه چيسي چاكسون، من أنصار التمييز الإيجابي إلى أن قام الحاكم پيت ويلسون بتعيينه بمجلس أمناء جامعة كاليفورنيا في سنة ١٩٩٣م. وهناك قال إنه صدم حين اكتشف اضمحلال مخطط لإعانة المحرومين إلى منظومة كاملة قائمة على العرق، في رأيه. وفي ١٩٩٤م، أقنع كونرلي صديقه ويلسون، منذ أواخر الستينيات، بتغيير رأيه في موضوع التمييز الإيجابي؛ وفي ١٩٩٥م بعد انتصاره على معارضة عاتية، لجأ للحيلة نفسها مع مجلس الأمناء؛ وفي ١٩٩٦م، انتحل الاقتراح ٢٠٩ ـ وهو عبارة عن مبادرة لحظر العمل الإيجابي في الجامعات العامة ـ من الباحثين اللذين حلما به. فتولى حملة ضعيفة عجزت عن جمع ما يكفي من التوقيعات لوضعها على ورقة الاقتراع، وأحالها إلى حركة سياسية منظمة، وتم تمريرها بنسبة ٥٥ ٪ من الأصوات.

ومنذ ذلك الحين، طاف كونرلي برسالته أرجاء البلاد وأخذ يقاضي الأكاديميين والبيروقراطيين الذين يحاولون فرض العمل الإيجابي، ويساعد في وضع مبادرات في ولايات أخرى. وفي سنة ٢٠٠٣م، عانى انتكاستين، الأولى حين أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكمًا معقدًا يبيح مواصلة العمل الإيجابي ولكنه منع الجامعات من القيام بذلك علانيةً من خلال نظم تقوم على النقاط. والأخرى في الانتخابات نفسها التي جاءت بأرنولد شوارزينجر إلى السلطة حين رفض الناخبون في كاليفورنيا مبادرة كونرلي التي تحظر على الولاية التمييز بين مواطنيها بالعرق أو الخلفية الإثنية. ولم يجد كونرلي أي عون من شوارزنيجر الذي عارض المبادرة، ولكن يصعب القول إن التاريخ ليس في صف كونرلي في ولاية تزداد فيها صعوبة تعريف العرق. وكان أحد أسلاف كونرلي نفسه أبيض، وكان آخر هنديًا صرفًا من قبيلة تشوكتاو، وزاد هو المزيج العرقي بزواجه بامرأة بيضاء.

ومن المصاعب المتكررة التى تواجه المحافظين الزنوج فى استقطاب بنى جلدتهم من السود إلى حربهم على العمل الإيجابى أنهم يقاتلون ضد مصلحتهم الشخصية. فما الذى يدعو الزنوج للتخلى عن مزايا عاجلة نابعة من العمل الإيجابى (تسهيل الالتحاق بالجامعات والعثور على فرص العمل) فى مقابل مزايا آجلة تنبع من التمسك بمبدأ (الاحتكام إلى الكفاءة لا إلى النسب) ووضع أنفسهم على محك أعلى المعايير الموجودة؟ وليست هناك مشكلة مماثلة فى موضوع صكوك (كوبونات) المدارس - أى إعطاء الآباء المزيد من الخيارات فى نوعية المدارس التى يلحقون بها أبناءهم. كان نظام صكوك المدارس نتاج قريحة خبير اقتصادى أبيض هو ميلتون فريدمان الذى قدم الفكرة لأول مرة فى سنة ١٩٥٧م. وهناك كثرة من المحافظين الزنوج، منهم توماس سوويل يؤيدون صكوك المدارس منذ سنوات. إلا أن مؤيديها يتزايدون من الآباء السود. وتثبت استطلاعات الرأى مرارًا وتكرارًا تأييد أغلبية السود لا سيما من لديهم أبناء فى سن المدارس نظام اختيار المدرسة. ولا غرو أن «التقييم القومى للتقدم التعليمى» يبين أن أى فتى أسود فى السابعة عشرة من عمره يعد متخلفًا عن نظيره الأبيض بأربع سنوات فى الرياضيات والقراءة وبخمس سنوات فى العلوم.

كان المختبر الذى ليس فى الحسبان لأكبر إصلاح للتعليم فى البلاد هو ميلووكى وهى مدينة انتخبت سلسلة من العمد الاشتراكيين وساعدت مرة فى نشأة الحركة التقدمية التى وسعت الحكومة. وانطلق أنصار الصكوك المدرسية من ميلووكى بسبب مجموعة من الظروف. أولها أن المدينة مقر إحدى المؤسسات المحافظة الرائدة فى البلاد وهى مؤسسة برادلى التى ظلت تدفع بمشروع الصكوك المدرسية لسنوات. ثانيًا كان أهالى المدينة من الزنوج قد سأموا مشاهدة أبنائهم يشحنون إلى الجانب الآخر من المدينة لكى تتمكن أحياء البيض من تحقيق هدف التوازن العرقى تنفيذًا لحكم المحكمة. وذهب اثنان من الزنوج المحليين المرموقين وهما پولى ويليامز وهو من مشرعى الولاية وهوارد فولر نجم كرة السلة السابق الذى أصبح مراقب المدارس، إلى أن حل مشكلات تعليم الزنوج لا يتم بأحكام تصدرها المحاكم بل بإعطاء الآباء حرية الاختيار. ثالثًا لجأ نشطاء الصكوك المدرسية إلى الساسة من كلا الحزبين. فأيد الفكرة تومى ومپسون حاكم الولاية الجمهورى وچون نوركويست عمدة المدينة الديمقراطى.

كانت خبرة المدينة فى الصكوك المدرسية بسيطة حين بدأ فى سنة ١٩٩٠م، فلم تكن نسبة المؤهلين لذلك من أطفال المدارس تتعدى الواحد ٪ وكانت المدارس الدينية مستبعدة. إلا أن الآباء الزنوج صدقوا على النظام بنسب كبيرة. فمثلاً ڤاليرى چونسون وهى أم خمسة أطفال، صارت من نشطاء الصكوك المدرسية لأنها رأت نظام المدارس فى شبكة لم يدمر إخوتها (تعرض أحدهم للقتل لرفضه الانضمام لإحدى العصابات، وترك آخر المدرسة وهو حاليًا يعيش بلا مأوى فى كاليفورنيا) فقررت ألا يلقى أبناؤها المصير نفسه. وكان النشطاء من أمثال فولر يرون أن حركة الصكوك المدرسية لا تقل عن نظيرتها الحديثة، حركة الحقوق المدنية. «هل جلسنا إلى مائدة غداء بمطعم وولورث فى جرينزبورو بولاية نورث كارولينا لنصل اليوم إلى مائدة غداء أخرى حيث لا نستطيع قراءة قائمة الطعام؟» وعلى مدار العقد الماضى، رفعت السلطات القيود تدريجيًا عن الخطة. وفى ٢٠٠٣م، قام «برنامج اختيار الآباء» بميلووكى بتوزيع الصكوك المدرسية على عشرة آلاف تلميذ من أسر فقيرة. وتبين الدراسات التى أجريت فى ميلووكى وأيضًا فى كليڤلاند وفلوريدا وهما رائدتان أخريان، أن أطفال نظام الصكوك المدرسية حققوا تقدمًا، بل يبدو أن الإصلاحات أدت إلى تحسن فى أداء المدارس العامة المحلية، لا سيما تلك التى واجهت أكبر منافسة.[٣]

فى ضوء هذه النتائج، وعلى أثر حكم من المحكمة الدستورية العليا فى سنة ٢٠٠٢م يبيح تطبيق نظام الصكوك المدرسية على المدارس الملحقة بالكنائس، تواصل حركة الصكوك المدرسية الانتشار بين الزنوج فى أنحاء أمريكا تدفعها تنظيمات من قبيل «التحالف الزنجى من أجل الخيارات التعليمية» ونشطاء من أمثال الملكة الأخت إفريقيا، و«نحن أمة القرية» وجيل صاعد من الزعماء السود. ويقول كورى بوكر السياسى الديمقراطى الزنجى الشاب إن السبيل الوحيد لإصلاح نظام التعليم إعادة السلطة للآباء. ويعتبر عمر واسو الذى يدير موقعًا على شبكة الإنترنت اسمه «بلاك پلانيت دوت كوم» نظام اختيار المدارس ثمرة مباشرة لحكم المحكمة الدستورية العليا المعروف باسم «براون ضد مجلس التعليم» لسنة ١٩٥٤م، الخاص بالفصل العنصرى فى المدارس العامة. وليس أى من هؤلاء النشطاء محافظًا، لكنهم جميعًا مستعدون

لاستعارة أفكار المحافظين ولتشكيل تحالفات مع التنظيمات المحافظة فى سبيل تحسين حالة مدارس الزنوج.

كان هناك نوع من الانقسام فى التحالف الديمقراطى بين أكثر ناخبيه ولاء، أى الزنوج والمصدر الأول لنشطائه، أى نقابات المعلمين. ومن أصعب اللحظات التى شهدتها انتخابات الديمقراطيين التمهيدية فى سنة ٢٠٠٠م ما حدث فى أثناء مناظرة بين آل جور وبيل برادلى على مسرح أبوللو بحى هارلم، وهو مكان له قدسيته عند زنوج أمريكا. وجهت تاميلا إدواردز، وهى صحفية زنجية شابة، سؤالاً إلى نائب الرئيس آنذاك عن سبب حدته فى معارضة نظام الصكوك المدرسية فى حين أنه يرسل أبناءه إلى مدارس خاصة. وقالت: «أليست هناك مدرسة حكومية أو مُرَخصة فى واشنطن تصلح لابنك؟» فأثارت عاصفة من التصفيق بين جمهور الحضور وأغلبهم من الزنوج، وواصلت قائلة: «وإن لم يكن، فلماذا يضطر الآباء هنا أن يبقوا على أبنائهم فى المدارس العامة لمجرد أنهم لا تتوفر لديهم الموارد المالية التى تتوفر لك؟»[٤]

كانت رؤية معذبيهم فى الحزب الديمقراطى وهم يلملمون شتات أنفسهم حول مسألة الصكوك المدرسية ترضيهم، إلا أن المحافظين الزنوج لديهم مشكلة أيضًا فى إقناع الجمهوريين البيض بتبنى القضية. والصورة ليست قاتمة تمامًا؛ فلديهم جب بوش وهو أكثر تعقلاً من أخيه الأكبر، ولطالما ناصر قضية الاختيار المدرسى فى فلوريدا. وتمكن البيت الأبيض من إقناع أنتونى ويليامز عمدة العاصمة بإعلان تأييده لنظام الصكوك المدرسية فى عاصمة البلاد. ومما يلاحظ كثرة المحافظين الشبان ومنهم مورا وداستن (اللذين بدأنا هذا الكتاب بهما) المتعاطفين مع الصكوك المدرسية. ومن ناحية أخرى أسقط چورچ بوش الابن نظام الصكوك المدرسية من مشروعه لقانون التعليم بعد أول همسة احتجاج من تيد كنيدى. ويبقى الشك فى الرفض العصبى من العديد من سكان الضواحى الجمهوريين البيض لمنح الأطفال الفقراء حرية اختيار الالتحاق بمدارسهم.

يؤكد هذا على استمرار وجود الهوة بين السود والجمهوريين. وعلى الرغم من مقترحات چورچ بوش، يبقى الجمهوريون حزبًا للبيض (وهى ليست مسألة عدم

وجود زنوج فى كابيتول هيل فقط ؛ فالجمهوريون لا يستطيعون حشد أكثر من أربعة لاتين ؛ فى حين أن الديمقراطيين لديهم أربعة وستون من الأقليات) .[٥] ومسألة تأصل الحزب فى أحياء البيض معناه أن الساسة الجمهوريين نادراً ما يضطرون للتعامل مع الناخبين الزنوج . وإعادة تقسيم الدوائر الانتخابية لا يؤدى إلا إلى تعميق المشكلة . وفى العمليات العديدة التى جرت لإنشاء مقاعد برلمانية جديدة ، يترك أصحاب المناصب من الجمهوريين نظراءهم من الديمقراطيين ينشئون دوائر «أغلبية ـ أقلية» فى مقابل ترك دوائر أكثر بياضًا للجمهوريين . والنتيجة زيادة أخرى فى عدد النواب الجمهوريين ممن لا تضم دوائرهم أى زنوج .

هذه الهوة تبرزها حقيقة مفادها أن سياسة الجمهوريين الأساسية لها جانب عرقى ، من وجهة نظر الزنوج على الأقل . فيمكن لأى جمهورى مثلاً أن يزعم ألا دخل للعنصرية فى إيثار خفض الضرائب على الإنفاق الحكومى ، لكن الزنوج يعتمدون على البرامج الحكومية ويعملون بالقطاع العام . وفى الوقت نفسه كلما تودد الجمهوريون للناخبين السود ، زاد الديمقراطيون دفاعًا عن منطقتهم متهمين منافسيهم بالعنصرية . وتمكن بوب دول من الحصول على ١٢ ٪ من أصوات السود فى حين أنه يتجاهل سود أمريكا إلى حد كبير ؛ ولم يحصل جورج بوش الابن إلا على ٩ ٪ فى سنة ٢٠٠٠ و١١ ٪ فى سنة ٢٠٠٤م بعد تودد مكثف لهم . وكان رد فعل جماعات الضغط الزنجية لتودد بوش سيل من الإعلانات السلبية ، ووصل الأمر إلى حد اتهامه بتجاهل قضية چيمس بيرد الزنجى الذى قتل بصورة بشعة فى چاسپر تكساس . وحرص بوش على تجنب حضور مؤتمر «الاتحاد القومى لتطوير الملونين» فى كل من سنواته الأربع الأولى من رئاسته .

أوقات التغير

إذا كان الجمهوريون لا يزالون يكافحون مع الزنوج ، فيبدو أن جهودهم لها مردود أكبر بين الشباب . ففى يوليه ٢٠٠٣م ، عقد «الجمهوريون الجامعيون» أحد أنجح مؤتمراتهم فى تاريخ تنظيمهم البالغ مائة وإحدى عشرة سنة . فتوافد إلى واشنطن حوالى ألف شاب جمهورى ـ أى أكثر من ضعف من جاءوا فى السنة السابقة ـ

ليلتقوا فيما بينهم ويشتروا تذكارات عليها شعارات خاطئة سياسيّا («الديمقراطيون آثمون» و «أعيدوا القائمة السوداء») ويستمعون إلى عبارات المحافظين التى تصور الديمقراطيين كشياطين. فقال پول إريكسون رئيس «مشروع مساءلة داشل» (الذى يتعقب زعيم الأقلية بمجلس الشيوخ): «حياة الليبرالى جحيم. يستحيل عقد مناظرة أو حوار مع من يكره كل ما يمثله هذا البلد ولكنه لا يكرهها لدرجة أن يرحل عنها».

كان «الجمهوريون الجامعيون» فيما مضى أكبر قليلاً من ناد اجتماعى؛ كان من نوعية التنظيمات التى ينضم إليها ذوو السترات الزرقاء والمتبطلون بغرض حشو قوائم خبرتهم ولقاء بنات العائلات المرموقة. وكان من إعلانات المجمع القديمة ما يصور فيلاً فى كأس شامپانيا تعلوه عبارة «انضم لأفضل حزب فى البلد».[٦] والجمهوريون الجامعيون فى هذه الأيام هم فريق المزرعة من حركة المحافظين. قد يواصلون الاحتفال لكن تنظيمهم جزء أيضًا من الآلة المحافظة، وحتى عندما يثملون تمامًا، يشرعون فى الهذيان بمساوئ الليبرالية وحسنات خفض الضرائب.

كان كارل روف من أوائل نسل شباب الجمهوريين الجديد. عين مديرًا تنفيذيّا للجمهوريين الجامعيين فى سنة ١٩٧١م بعد أن أبدى مهارات فائقة كنشط شاب! (قام ذات مرة بتلفيق رسالة لأحد المرشحين الديمقراطيين لمجلس النواب تعلن «جعة مجانية وطعام مجانى وفتيات بلا مقابل» ووزعه فى ملاجئ المشردين). وفى اجتماع ٢٠٠٣م عاد ليتسلم جائزة لى آتواتر أمام مئات من الجمهوريين ممن يرتدون البزات الرسمية وثياب الحفلات. وبدا روف بسترته الرمادية الفاتحة ورباط عنقه الأخضر الفاتح كأحد أغبياء تلاميذ المدارس وسط رجال الغرب الأوسط القصار السمان. ولكن قوبل كأحد نجوم كرة الرجبى. وبدأت وقائع الحفل بنشيد الولاء وصلاة شكر للرب (وغيره) على وجود چورچ بوش الابن فى سدة الحكم. ثم شرع روف فى إلقاء خطبة خصصها لسرد تفاصيل المكائد التى جاءت به إلى قيادة «الجمهوريين الجامعيين» قبل ثلاثين سنة وتلميحات جانبية عن الكوارث التى ألمت بخصومه منذ ذلك الحين. وبينما بلغ حماس روف ذروته، قفزت مجموعة صغيرة من المندسين اليساريين العجاف إلى المنصة وأخذوا يلوحون باللافتات ويصرخون قائلين «روف يكذب، الناس يموتون!» وتبين فيما بعد أن المتظاهرين كانوا يحتجون على أبحاث الإيدز، إلا أن معظم الجمهوريين

ظنوا أنهم يحتجون على حرب العراق، وكان رد فعلهم إزاء الاحتجاج أقرب إلى رد فعل كلاب الصيد إذا لمحت ثعلبًا فى وجارها. فاندفعوا صوب الدخلاء واقتادوهم نحو أبواب الخروج، وانفجرت القاعة بصيحات «كارل كارل كارل» و «أمريكا، أمريكا» وعاد روف إلى خطبته المنفردة.

المعتاد فى أيامنا هذه هو رؤية ثعالب شباب الجمهوريين يتسللون إلى أوكار الديمقراطيين. ففى جامعة كاليفورنيا فى بيركلى، يصدر الطلاب المحافظون صحيفة جامعية «وطنى كاليفورنيا - California Patriot» وأنشؤوا شعبة من «الجمهوريين الجامعيين» (تضم خمسمائة عضو). وعقد جمهوريو كاليفورنيا مؤتمرهم لسنة ٢٠٠٣م (تحت عنوان «خلف خطوط العدو») فى بيركلى. واحتفل مائتان منهم بالذكرى الرابعة والثلاثين لحركة «متنزه الشعب» حيث تدفقوا على المتنزه وقدموا استعراضًا للوطنية (أيقظ عديمى المأوى المحليين من قيلولة منتصف النهار حسب قول المشاركين). أخذوا يلوحون بالأعلام ويهللون «أمريكا» وينشدون «العلَم المرصع بالنجوم» و «أمريكا الجميلة». وقال أحدهم مباهيًا: «كما دخلت قوات البحرية بغداد قبل بضع أسابيع لتحريرها تدفقنا على بيركلى مستعدين للقتال».

يتزامن انطلاق النشاط المحافظ مع تحول يمينى محدود فى رؤى الشباب. ففقد بوب دول أصوات الفئة العمرية من ١٩ إلى ٢٩ بفارق ١٩ نقطة مئوية؛ فى حين فقدها بوش بنقطتين مئويتين فقط فى سنة ٢٠٠٠م وبتسع نقاط فى ٢٠٠٤م. وكانت نسبة من يعتبرون أنفسهم جمهوريين من الفئة العمرية من ١٨ إلى ٢٩ (٣٠ ٪) تفوق الديمقراطيين منهم (٢٤ ٪) فى استطلاع أجراه كل من سى. إن. إن. وجريدة يو. إس. إيه. توداى، معهد جالوپ فى أكتوبر ٢٠٠٣م، ولو أن الفئة السياسية الأكبر كانت من المستقلين (٤٥ ٪). وهناك أيضًا تحولات أعمق فى الاتجاه. فالطلاب الأمريكيون يتشككون فى إعادة توزيع الدخل؛ ففى ٢٠٠٢م، كان ٥٠ ٪ فقط منهم يؤمنون بضرورة أن يدفع الأغنياء ضرائب أكبر مقارنةً بنسبة ٦٦ ٪ فى سنة ١٩٩٥م. وعلى الرغم من الشواهد الواضحة على عكس ذلك فى أنشطة «عطلة الربيع» (فضلاً عن شرائط ڤيديو «الفتيات فلت عيارهن») فهم قلقون على القيم الرائعة لجيل الستينيات. وفى سنة ٢٠٠٢م، اكتشف «معهد بحوث التعليم العالى» التابع لجامعة

كاليفورنيا بلوس أنچيليس أن ٤٢ ٪ فقط من الطلاب يؤيدون العلاقات الجنسية العابرة مقارنةً بـ ٥١ ٪ فى سنة ١٩٨٧م، وأن ٥٤ ٪ فقط من الطلاب يؤمنون بضرورة إباحة الإجهاض مقارنةً بـ ٦٦ ٪ فى سنة ١٩٨٩ . وفى مسح أجراه «معهد السياسة» بجامعة هارڤارد فى سنة ٢٠٠٣م على الخريجين، تبين أن ٦٠ ٪ يعارضون إباحة الماريجوانا، أى بنسبة أكبر من السكان العاديين بقليل. والغريب أنهم يتعاطفون مع استعمال أمريكا قوتها العسكرية. فكشف استطلاع جامعة كاليفورنيا بلوس أنچيليس عن أن ٤٥ ٪ من طلاب الفرقة الأولى يؤيدون زيادة الإنفاق العسكرى، أى أكثر من ضعف النسبة فى سنة ١٩٩٣م. ووجد استطلاع هارڤارد نفسه أن ثلاثة أرباع الطلاب يثقون فى أن الجيش «يقوم باللازم» إما دائمًا أو فى أغلب الأوقات. وفى سنة ١٩٧٥م كان الرقم حوالى ٢٠ ٪.

لماذا هذه الزيادة فى النزعة المحافظة؟ من الأسباب الرغبة فى تمريغ أنوف المؤسسة الأكاديمية اليسارية فى أمريكى. من أنماط مضايقة الأساتذة إنشاء نواد للأسلحة النارية. ويباهى نادى كلية حقوق هارڤارد للأسلحة النارية بعضويته البالغة مائة وعشرون، أى ٥ ٪ من مجموع الطلاب. ويقوم أليكسندر ڤولوك الذى أسس النادى فى سنة ٢٠٠١م باصطحاب الأعضاء للرماية فى مسابقات فى نيوهامپشاير ـ وهى ليست رحلة خارج حدود الولاية فقط، بل عبر فجوة ثقافية أيضًا. فالأسلحة محظورة فى محيط جامعة هارڤارد؛ وترفع مسابقة نيوهامپشاير لافتة تقول «الرماية مجانية للأطفال تحت سن ١٣». ويقيم ڤولوك العديد من الوقائع المتعلقة بالأسلحة النارية فى حرم الجامعة بما فى ذلك عرض أفلام تحكى عن «أناس عاديين يستعملون المسدسات كوسيلة للخير». ونشر طالب مقالاً على صفحات «سجل كلية حقوق هارڤارد ـ Harvard Law Record» بعنوان «اكتشاف متعة نصف الآلى». وفى «ماونت هوليوك» جماعة للفتيات فقط، ترتبط ببيتى فريدان أكثر من ارتباطها بشارلتون هيستون أول شعبة لجماعة «أخوات التعديل الدستورى الثانى» وهو تنظيم قومى للنساء المؤيدات للأسلحة النارية.

والأهم أن هناك هوة فصلت بين جيل ١١ سپتمبر من الطلاب وأساتذتهم المنتمين لحقبة ڤيتنام. فوجد استطلاع هارڤارد أن ثلثى الطلبة يؤيدون خوض الحرب على

العراق. ونمت الفئات المؤيدة للحرب فى جامعات ليبرالية مثل براندیز ویيل وكولومبيا. ففى جامعة ويسكونسن بمدينة ماديسون - التى كانت من معاقل معارضى الحرب فى حقبة ڤييتنام - عنف أحد كتاب الأعمدة بصحيفة طلابية أحد الأساتذة لإلغائه محاضراته للمشاركة فى تظاهرة ضد الحرب.[٧] وفى أميرست، غضب طلاب عديدون حين هتف أربعون أستاذًا فى قاعة الطعام بشعارات ضد الحرب.

ولطالما كرست حركة المحافظين التى ترى فى جيل ١١ سپتمبر أروع صورة لها منذ سنوات كثيرًا من طاقتها لاستقطاب الشباب. وتزامن التقاء مجمع المحافظين فى واشنطن مع لقاء لـ «مؤسسة شباب أمريكا» المتحدرة عن «شباب أمريكى من أجل الحرية» التى أسسها ويليام بكلى. وتقوم «مؤسسة شباب أمريكا» حاليًا بتنظيم مؤتمرات وندوات وتأتى بطلاب محافظين واعدين إلى «رانشو دل سيلو» وهى مزرعة ريجان فى كاليفورنيا (والتى هى «مُخصصة للأمة» بواسطة التنظيم). وتمد «الجمعية الاتحادية» المحامين المحافظين الشبان بشبكة اجتماعية. وتوزع «الشبكة الجامعة» ما يقرب من مائتى ألف دولار سنويًا على ثمانى وخمسين صحيفة طلابية، وتوفد صحفيين محافظين طموحين إلى واشنطن لتلقى التعليمات من كبار كهنة الصحافة المحافظة من أمثال فريد بارنز. وينشر التنظيم الشقيق لها «معهد الدراسات بين الجامعية» مجلة جامعية تسخر من الانضباط السياسى أو «الموائمة السياسية - political»، وتبيع كلاسيكيات المحافظين بأثمان رخيصة (كتاب بارى جولدواتر «ضمير محافظ» يباع بدولارين) وأرسل چورچ ويلز الطموح إلى مدرسة صيفية فى أوكسفورد للتتلمذ على حكماء المحافظين من أمثال روجر سكروتن.

تولى الحركة اهتمامها إلى تنشئة القادة المحافظين من أجل المستقبل، بل إن النشطاء الشبان يفيدون الآن فى جمع الأصوات. وعندما اكتشف الحزب الجمهورى أنه فقد المعركة البرية فى سنة ٢٠٠٠م، كان من بين من لجأ إليهم مورتون بلاكويل. وبلاكويل (الذى كان أصغر مندوبى جولدواتر إلى مؤتمر ١٩٦٤م فى «كاو الاس») من أنصار «سياسة اللمسة الرفيعة» منذ سنوات؛ ففى ١٩٧٩م أنشأ «معهد القادة» لتدريب شباب المحافظين على إلقاء الخطب والظهور على شاشات التليفزيون وإدارة الحملات السياسية. و«سياسة اللمسة الرفيعة» موضة فى مقار الجمهوريين. ففى سنة ٢٠٠٢م أمد تنظيم «الجمهوريون الجامعيون» حزبه بقوات أمامية، وسجل ناخبين فى الجامعات

ويعمل على دفعهم إلى صناديق الاقتراع (يدعى رئيسهم أنهم أزعجوا ثلاثمائة ألف من الناس). وتقول مجموعة أخرى تدعى «جيل الحزب الجمهورى» إنها زادت تعداد الشباب فى أركانسو بما يناهز عشرين ألفًا. وليس هذا مجرد تبجح أرعن. فيزعم مورم كولمان الذى فاز فى انتخابات شرسة لعضوية مجلس الشيوخ بولاية مينسوتا على والتر مونديل (بعد وفاة پول ويلستون فى حادث تحطم طائرة) أن «الجمهوريون الجامعيون» «أمدوه بالطاقة التى أوصلته إلى القمة».

هؤلاء النشطاء الشبان يغيرون وجه الحزب الجمهورى ويعيدون إليه الحيوية. وهم فى معظمهم من الطبقة المتوسطة ومن الكادحين ـ أى على النقيض تمامًا من الموسرين الذين كانوا يحددون معنى النزعة الجمهورية. ومعظمهم مضطرون للعمل حتى يتمكنوا من سداد مبلغ الخمسة والعشرين ألف دولار التى يكلفها الالتحاق بالجامعة سنويًا؛ ومن هنا كان حماسهم لخفض الضرائب. وهم فى العادة لا يكنون كثيرًا من التقدير للسلطة. فهؤلاء جمهوريو الأفلام الهابطة وليسوا جمهوريى النخبة، مثل پريسكوت بوش فى جامعة ييل. وعلى الرغم من شعاراتهم الحمقاء، كغزو بيركلى، فهم أكثر تسامحًا من قدامى المحافظين ـ فهم متفتحون فى نظرتهم لقضايا كزواج الشواذ وليبراليون فى المسألة العرقية. ومهما كانت مشكلات الحزب الجمهورى فإنه يبلى بلاء حسنًا فى تجديد شبابه.

نساء ساخنات لدرجة الإحمرار

إن عبارة «نساء محافظات» تعد بالنسبة لليبراليين متناقضة «طلاب محافظون». إذ كيف يتسنى للنساء أن يؤيدن حزبًا يعارض خيار الإجهاض مثل؟ أو يرفع شخصيات ذكورية مثل توم ديلاى «الشاكوش» إلى مقام الزعامة فى مجلس النواب؟ ومفاجأة كهذه من شأنها أن تعكس ما هو أكثر من مجرد تحامل؛ فالمرأة كجنس تحيد عن الحزب الجمهورى منذ خمسينيات القرن الماضى. وكثرة من النساء يؤمنّ بأن الحزب أخفق فى التكيف مع عالم تغير تكسب المرأة فيه رزقها بنفسها وتتحكم فى حياتها.

والتغير فى اتجاهات تصويت المرأة كبير. ففى ١٩٥٦م، كانت المرأة تؤثر أيزنهاور على أدلاى ستيڤنسن بهامش قدره ٢٦ نقطة مئوية. وفى ١٩٦٠م، أيدت المرأة ريتشارد

نيكسون المتجهم ضد چون كنيدى المتأنق بسبع نقاط. لكن المرأة اتجهت يسارًا منذ أن أصدر فريق «الخنافس» أولى إسطواناتهم. وفى ١٩٨٠م، عندما أعطى الرجال رونالد ريجان تفوقًا قدره تسع عشرة نقطة، أعطته النساء تفوقًا بنقطتين على چيمى كارتر. وفاز بيل كلينتون بأصوات المرأة بسهولة. وفى انتخابات الرئاسة فى سنة ٢٠٠٠م أيد الرجال چورچ بوش بنسبة ٥٣ إلى ٤٢ ٪، أما النساء فأيدن آل جور بنسبة ٥٤ إلى ٤٣٪. [٨] ويشير كل من چون چوديس وروى تايكسيرا إلى أن أصوات الإناث عوضت العجز فى أصوات الذكور فى اثنتى عشرة ولاية من مجموع الولايات التسع عشرة التى فاز بها جور. [٩]

وأكبر التنظيمات النسائية كلها على يسار الوسط. وجل نشطاء الحركة النسائية يتهمون المحافظين بالبدائية فى رؤيتهم للإجهاض ولدور المرأة فى المجتمع. والأموال التى تقوم بجمعها «قائمة إيملى» المؤيدة للمرشحات تذهب كلها تقريبًا للديمقراطيين. أما بالنسبة للأكاديميين، ففى كافة جولاتنا حول جامعات أمريكا لم نلتق بأستاذ يعنى بدراسات المرأة المحافظة ونشك فى وجود مثله فى المستقبل.

ومع ذلك فهناك نساء محافظات. ففى سنة ٢٠٠٠م، صوت خمسون ٪ من الأمهات لصالح بوش، وكذلك ٥٦ ٪ من النساء اللائى يكسبن أكثر من سبعين ألف دولار سنويًا؛ والأغرب أن نسبة النساء تحت سن الرابعة والثلاثين ممن صوتن لصالح بوش كانت أكبر قليلاً ممن صوتن لجور (٤٩ إلى ٤٦ ٪)، فى أول مرة تختفى فيها الفجوة بين الجنسين فى أية فئة عمرية منذ ١٩٨٠م. [١٠] والمرجح أن تتخذ المرأة من كافة الفئات العمرية مواقف أكثر ليبرالية من الرجل فى قضايا الإجهاض والرعاية الصحية وتنظيم حمل السلاح، ولكنها تأخذ موقف أكثر محافظة فيما يخص الجريمة والعقاب، مع تأييد قوى لفرض حظر التجول على المراهقين. وواحدة من كل ثلاث نساء تحتفظ بمسدس على الأقل. وكثير من العمل الشاق فى أية دائرة جمهورية تقوم به متطوعات. ويباهى «الاتحاد القومى للنساء الجمهوريات» بعضويته لمائة ألف امرأة وألف وثمانمائة تنظيم محلى. وفى كل فئة من فئات المحافظين فى أمريكا هناك عنصر نسائى، من الإيڤانجليكيين إلى المحافظين الجدد. ومع ذلك اخترنا أن نركز على خمس

فئات من المحافظات: السياسيات والسيدات من حزب المحافظين الإنجليزى القديم والمحافظات الاَجتماعيات والمفكرات بمنتديات الفكر والإعلاميات المشاكسات.

ولنبدأ بالسياسيات. فيلاحظ أن الجمهوريات أقل عملاً من الديمقراطيات. فللحزب الجمهورى خمس نائبات بمجلس الشيوخ (فى مقابل تسع ديمقراطيات) وإحدى وعشرين نائبة بمجلس النواب (فى مقابل ثمانى وثلاثين من الديمقراطيات). ومن ناحية أخرى، هناك نساء جمهوريات يتولين مناصب على مستوى الولايات أكثر من الديمقراطيات (٤١ فى مقابل ٣٦)، وتسعى حركة المحافظين جاهدة لتنشئة المزيد من المحافظات من خلال تنظيمات مثل «معهد كلار بوث لوس للسياسات» الذى يمد المحافظاَت الشابات بالتدريب على الخطابة ويمنحهن جوائز ومنحًا دراسية. «فلا بد لفتياتنا من أن يقاتلن فتياتهم» حسب قول كاتى أوبراين فى «ناشيونال ريفيو».

ويقال إن چورچ بوش الابن أعطى المرأة بروزًا مثل ما أعطاها بيل كلينتون (ولو أن ذلك يتوقف على ما توليه من وزن لهيلارى التى لم يكن لها منصب ولكنها كانت فى غاية الفعالية). لكن قائمة بوش تشمل إيلين تشاو فى وزارة العمل وآن فينيمن فى الزراعة وجاچال نورتن فى الداخلية وكرستين تود ويتمان ـ لفترة ـ فى «هيئة حماية البيئة» وأهمهن كوندوليزا رايس فى الخارجية. وربما عادت كارن هيوز رسميًا إلى تكساس، إلا أنها ساعدت فى حملة ٢٠٠٤م. وهناك مارجريت لامونتانى وهى أم عزباء لطفلين تبعت بوش من تكساس لتعمل ككبيرة مستشاريه لشئون السياسات التعليمية والرعاية الصحية والجريمة.

وتمثل المرأة قوة تدفع نحو الاعتدال فى الصفوف العليا للحزب الجمهورى منذ سنوات. وعضوات مجلسى الشيوخ والنواب الجمهوريات غالبًا ما يعطين الانطباع بالتركيز على المطلبين المتلازمين: الأسرة والعمل، لدرجة لا تترك لهن الوقت للتعصب من أى نوع. فأويلياميا سنو عضو مجلس الشيوخ عن ولاية مين أقرب إلى الجمهورية الروكفلروية كما تظهر فى الحرب اليوم. وويتمان التى كانت حاكمًا ناجحة لولاية ليبرالية نسبيًا هى نيوچيرسى قبل أن تتولى منصبها فى «هيئة حماية البيئة» بواشنطن، اتخذت مسلكًا ليبراليًا من كافة القضايا لا سيما الإجهاض. وكانت أقرب

إلى بوش اجتماعيًا منها إليه سياسيًا بما يتوازى مع خلفيتهما المشتركة؛ فأهدته مثلاً كلبه الإسكتلندى الصغير الأثير إلى قلبه بارنى (الذى تعيش أمه وشقيقته وعمه مع أسرة ويتمان فى نيوچيرسى).

وفى العقد الماضى، بدأت مجموعة أكثر صرامة من المحافظات فى اقتحام السياسة القومية، ويدعين أنهن يناضلن من أجل جيل جديد من قضايا المرأة - خفض الضرائب والحد من تضخم الحكومة ومكافحة الجريمة ودعم الأسرة. ومثلاً فى ١٩٩٤م، أتت ثورة جينجريتش إلى مجلس النواب بسبع جمهوريات جديدات، وهو أكبر عدد يتم انتخابه منهن فى سنة واحدة. وضمت المجموعة باربرا كيوبن التى كانت تباهى بأنها ليست «نازية نسائية» ودعت زملاءها الرجال بمجلس ولاية وايومنج التشريعى ذات مرة على حلوى بيتية تم خبزها على شكل أعضاء ذكرية[١١] وهلن تشينويث التى دعت لإلغاء خدمات العوائد المحلية وأصرت على أن تُنادى «رجل الكونجرس - Congressman»؛ وليندا سميث التى كانت تطلق على «اتحاد الناخبات» اسم «اتحاد الأفاعى». وكيوبن الوحيدة فى مجموعة السبع التى بقيت فى مجلس النواب، لكن مستقبلها فى ازدهار. ففى سنة ٢٠٠٠م، انتخبت لعضوية مجلس مديرى «الاتحاد القومى للأسلحة النارية». ومن الإضافات الحديثة على فوج المحافظات كاثرين هاريس أمينة سر ولاية فلوريدا السابقة التى ساعدت فى حسم انتخابات ٢٠٠٠م وإعادة عد الأصوات. وعلى الرغم من خلفيتها التى تشبه خلفية ويتمان (جاءت من إحدى أبرز عائلات فلوريدا) فإنها اتخذت مواقف محافظة متشددة، ويلاحظ كثرة تواجدها فى «مؤسسة هيريتدج».

ويعكس تنامى النزعة المحافظة بين الساسة القوميين تغيرًا طرأ على النشطاء، حيث بدأ مصطلح «محافظ اجتماعى» يكتسب معنى جديدًا متميزًا. ففيما مضى كان هذا المصطلح يتصل بالتكيف الاجتماعى بدرجة أكبر من اتصاله بإنقاذ المجتمع، وهو لا يزال كذلك بالنسبة للعديد من «نساء الحزب المحافظ الإنجليزى القديم» كما سنسميهن. ولا يزلن متواجدات فى صورة مصغرة لجمهوريى النوادى الريفية فى جمع التبرعات وفى نوادى الغداء و«الاتحاد القومى للنساء الجمهوريات». وسيدة «الحزب

المحافظ الإنجليزى القديم» بصورتها التقليدية هى النمط المحترم: زوجة رجل ناجح تعطى بعضًا من وقت فراغها وطاقتها (لا سيما بعد أن كبر أبناؤها) لجمع التبرعات والتنظيم. ومن نماذجهن باربرا بوش ولورا بوش، ويتميزن بالاعتدال فى الأسلوب وفى الجوهر أيضًا. وكل من باربرا بوش ولورا بوش تؤيدان خيار الإجهاض[١٢].

وفى السنوات الثلاثين الماضية، واجهت «نساء الحزب المحافظ الإنجليزى القديم» تحديًا تمثل فى نوع آخر أكثر أيديولوچية من المحافظات «الاجتماعيات». إذ صار للمرأة تواجد أقوى بين المحافظين الاجتماعيين منذ أن نشرت فيليس شلافلى كتابها «اختيار لا صدى ـ A Choice, Not an Echo» فى سنة ١٩٦٤م. ويستطيع «منتدى النسر» الذى أنشأته شلافلى أن يحشد النسوة المحافظات فى كل ولاية فى البلاد. إذ اندفعت أعداد كبيرة من النساء نحو حركة المحافظين بسبب موقفهن القوى من الإجهاض. وتفاخر معظم البلدات الصغيرة نسبيًا بوجود شعبة صغيرة منها معظم هيئتها من النساء وبوجود تنظيم واحد محافظ اجتماعى آخر على الأقل يعارض هولى وود، أو العرى. وفى الكنائس الإيڤانجليكية الكبرى، نجد أن العديد من اللجان التى تجتمع نهارًا لمناقشة التعليم المنزلى وتقويم أفراد الأسرة الشواذ وما إلى ذلك تديرها أمهات.

والضفة اليمنى لديها «منتدى المرأة المستقلة»، وهو اتحاد حر للنساء الأكثر يمينية من أن ينضممن للتنظيمات النسوية التقليدية ولكنهن فى الوقت نفسه أكثر علمانية من أن يلتحقن «بمنتدى النسر» وأشباهه. ومعظم عضواته من صاحبات المناصب فى العاصمة ويمكن وصف موقفهن بأنه ينتمى إلى ما بعد الحركة النسائية. ولا يلقى هذا التنظيم بالاً لكل الهراء الذى يقال عن المرأة كضحية، ويزعم أن المرأة اليوم قادرة تمامًا على شق طريقها فى الحياة بنفسها. ويؤيد التنظيم مواقف لو اتخذها الرجال لقامت الدنيا ولم تقعد، ومنها معارضة مشروع قانون «العنف ضد المرأة» أو «اصطحاب الأم لبناتها فى العمل». ومع أن التنظيم لا تزيد عضويته عن ألف وستمائة ويصدر نشرة توزع ستة عشر ألف نسخة فإن للمنتدى تأثيرًا بالغًا. ويضم فى عضويته كرستينا هوف سومرز من «معهد الأعمال الأمريكى» والتى بنت مستقبلها العملى على تقويض الدراسات النسائية، وليسا شيفرين التى كتبت خطبة دان كويل اللاذعة ضد مورفى براون (الصحافى الذى قرر الإنجاب خارج نطاق الزواج). ومن مديراته السابقات لين تشينى زوجة نائب الرئيس. وأوفد بوش رئيسة المنتدى نانسى ميتشل فوتنهاور إلى «لجنة

أوضاع المرأة التابعة للأمم المتحدة». وضم الرئيس أيضًا ديانا فورتجوت روث إلى مجلس مستشاريه الاقتصاديين.

والمجموعة الأخيرة من النساء المحافظات هى الإعلاميات المشاكسات. فشبكة فوكس الإخبارية حققت نجاحًا باهرًا فى وضع النساء اليمينيات من ذوات النغمة الحادة فى مواجهة مشاهدى التليفزيون. وأشقرهن وأحدّهن لسانًا آن كولتر التى تحظى بميزة غير عادية تتمثل فى أنها طردت من مجلة «ناشيونال ريفيو» لأنها متطرفة فى يمينيتها. (فى ١٣ سبتمبر ٢٠٠١م، كتبت عن المسلمين تقول: «علينا أن نغزو بلادهم وأن نقتل زعماءهم ونحملهم على اعتناق المسيحية»؛ وهى حاليًا تصف من طردوها بأنهم حفنة من «الصبية المخنثين»). بدأت كولتر حياتها العملية بالمحاماة، ولكنها كانت دومًا محامية ذات اتجاه سياسى، فشاركت فى تمثيل پولا جونز عندما قاضت بيل كلينتون بتهمة التحرش الجنسى. واليوم أدت آراؤها الصارمة ولسانها الحاد إلى الشهرة، وموهبتها الحقيقية الاستفزاز. فتستهين بجمعيات المناظرة الجامعية وتستخف بالطلاب الليبراليين وتصفهم بأنهم مجرد كرات صغيرة غاضبة. ويصطف الناس فى «اتحاد المحافظين» السنوى لمدة ساعات فى انتظار الحصول على توقيعها على نسخ كتابها «افتراءات الليبراليين على اليمين الأمريكى ـ Slander: Liberal Lies About the American Right» الذى جاء على قمة قائمة أكثر الكتب غير الروائية مبيعًا فى سنة ٢٠٠٢م؛ وبعد سنة تلاه كتابها «الخيانة العظمى ـ Treason» الذى يبدو أنه يصم معظم الديمقراطيين بالخيانة. وقالت إن أزمتها الحقيقية إبان قضية مونيكا لوينسكى كانت ما إذا كان كلينتون يستحق التشهير أم الاغتيال. وإليك ما تقول عن الإرهاب: «حتى الإرهابيين الإسلاميين لا يكرهون أمريكا كره الليبراليين إياها»، وقالت ذات مرة: «الإسلاميون لا قدرة لهم. ولو كانت لديهم قدرة كبيرة لهذه الدرجة لصنعوا الرصاص محليًا». وعن الأسلحة النارية تقول: «خلق الرب الرجل والمرأة؛ وسوى بينهما العقيد كولت». وعنوان أحدث كتبها ـ «كيف تتكلم مع الليبراليين [لو اضطُررتَ ـ How to Talk to a Liberal [If You Must» ـ يشبه أحد المجلدات التى كانت تباع فى مكتبة «منتدى الحرية» فى كاليفورنيا فى الخمسينيات وتكيل التهم للناس بالشيوعية.

والغريب فى الإعلاميات المشاكسات بشبكة فوكس الإخبارية أنهن يمثلن ظاهرة محافظة بحتة. فربما يمتلك الديمقراطيون هولى وود وقلب الصحافة الأمريكية،

ولكن يبدو أنهم عاجزون عن إنجاب مثيلة لآن كولتر. وهذا العجز قد لا يكون مضراً تمامًا بالقضية الليبرالية، فمن الصعب أن نصدق أن كولتر تقصى المعتدلين بالسرعة نفسها التى تحشد بها المؤمنين بقضيتها. إلا أن أمثال كولتر أعطوا لحركة المحافظين وجهًا شعبيًا مختلفًا.

اللغز النسائى

هل يتمكن المحافظون من تحسين صورتهم لدى المرأة؟ مرة أخرى ينبغى القول إن المرأة تصوت لأسباب مختلفة. لكن انتشار النزعة المحافظة بين النساء يتوقف على القضيتين الشائكتين: الإجهاض ومنح المرأة دورًا أكبر فى المجتمع. وكلتا القضيتين تتحركان قليلاً لصالح المحافظين.

من الغريب أن ثلثى الأمريكيات يرفضن حاليًا أن يوصفن بالناشطات النسائيات. فكثير منهن تساوين بين الحركة النسائية وفكرة أن المرأة لا يمكن أن تحقق ذاتها فعلاً إلا فى مجال العمل ـ وهو تفسير تحاججه الناشطات النسائيات، ولكن له بعض الأساس (وصفت بيتى فريدان حياة ربة البيت المتعلمة بأنها «هدر للذات الإنسانية»، وتصف هلن جورلى براون من Cosmopolitan ربة البيت بأنها «مستجدية.. طفيلية»، وتصف جلوريا ستاينم ربات البيوت بأنهن «كائنات تابعة وما يزلن أطفالاً»).[١٣] والزلة الوحيدة من زلات هيلارى كلينتون التى يمكن أن تسبب لها أكبر المتاعب إن قررت خوض انتخابات الرئاسة عبارتها الساخرة عن النساء اللاتى يمكثن بالبيوت ليخبزن الكعك. فهذه العبارة تغضب النساء اللائى لا يردن العمل أصلاً، وقد تنفر النساء العاملات ممن بدأن حياتهن العملية ثم اخترن البقاء بالبيوت كليًا أو جزئيًا لرعاية أطفالهن فى العادة. فلا تزيد نسبة الأمريكيات البيض من حملة الشهادة الجامعية اللائى يعملن كل الوقت عن ٦٧ ٪ فى مقابل ٩٥ ٪ من الرجال.[١٤] ولا شك أن الأسقف الزجاجية مسئولة عن إبعاد النسوة عن حياة المكاتب، إلا أن كثرة منهن قررن أن يصبحن «هدرًا للذات الإنسانية» لأنهن يرين أن «إجراء تحول ثان» يمنحهن حياة هادفة. «سؤال: لم لا تصل المرأة إلى القمة؟» طرحه غلاف دراسة مطولة نشرت فى مجلة نيويورك تايمز فى أكتوبر ٢٠٠٣م والجواب «لأنهن لا يرغبن».[١٥]

ومن الغريب أن نجاح الحركة النسائية من العوامل التى تجعل النزعة المحافظة أكثر جاذبية للنساء. وهناك فرضية لا تزال شائعة فى كثير من أدبيات تنظيمات يسار الوسط النسائية الكبرى وتغضب كثيراً من النساء بأن المرأة ضحية والرجل جان. فالمرأة فى أيامنا هذه لا تواجه كثيراً من العوائق المتصلة بالنوع فى طريقها إلى النجاح. والبنات أفضل من البنين فى المدارس، وعدد الخريجات من الجامعات أكبر من الخريجين. ففى سنة ٢٠٠٣م، كانت نسبة ٦٣ ٪ من خريجى حقوق بيركلى من الفتيات؛ وفى هارڤارد كان الرقم ٤٦ ٪ وفى كولومبيا ٥١ ٪ وفى ييل ٥٠ ٪.[١٦] ويرى كثير من النساء أن العائق الوحيد لطموحهن هو ملكاتهن الفردية ولم يعدن يشعرن بأنهن مدينات بالفضل لجهود الحركة النسائية. فنوعية النزعة الفردية التى يبشر بها «منتدى المرأة المستقلة» لها جاذبيتها.

ومع ذلك فحين يبدو الطريق مفتوحًا أمام حركة النساء المحافظات، تبرز عقبتان كؤودان. الأولى وجود كثرة من المحافظات الاجتماعيات ممن يردن إعادة عقارب الساعة للوراء باعتقادهن بأن تحرير المرأة كانت غلطة وأن المرأة مكانها البيت. والأخرى الإجهاض. ترى المحافظات الاجتماعيات أن إلغاء الإجهاض يمثل أكبر حملة فى عصرنا، فهو يوازى الكفاح ضد العبودية أو الفاشية. ويبدو أن رأيهن له الغلبة بصورة من الصور، فتأييد حقوق الإجهاض فى تراجع بين الفتيات. ومع ذلك فمعظم النساء ما زلن يؤيدن حرية الاختيار ـ ويرين أن المعركة المريرة الدائرة حول الإجهاض داخل الحزب الجمهورى بدأت تخمد. وقد ينجذبن إلى الفكر المحافظ عن المسئولية الفردية ولكنهن لا يردن أن يرغمن على الخوض فى جدل عقيم مع المحافظين الاجتماعيين حول أخلاقيات الإجهاض.

***